ابن المعتز

فصول التأويل

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0114437295

PN
6237
.I2
1925

JAN 18 1973

DUE DATE

OFFIC.	JUL 8	1990	
	201-6503		Printed in USA

فصول التماثيل

في

تباشير السرور

تأليف

أمير المؤمنين أبي العباس عبد الله بن المعتز

الطبعة الاولى سنة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م

على نفقة الرحالة البحاثة عن الأسفار النفيسة

محيي الدين صبري الكردي

﴿ حقوق الطبع محفوظة للناشر ﴾

المطبعة العربية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي

PN
6237
.I2
1925

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله (الحمد لله) اجلالا لوحدانيته . واخلاصاً لربوبيته . واعظاماً لجسيم عوائده . واكراما لعميم فوائده . على قديم ما أبلى وحديثه وخاص ما أسدى وعامه حمداً يكافى نعمه ويوازى احسانه، أبداً سرمداً في الليل اذا أظلم . والنهار اذا تبسم . وصلى الله وملائكته المقربون على محمد خاتم النبيين وآله وسلم

﴿ أما بعد ﴾ فان للشراب مرتبة خفيفة المدخل . ومنزلة لطيفة المحمل عند جماهير الخلفاء . ومشاهير الوزراء . وحكماء الاطباء . ورؤساء العلماء . وفهماء العرب . وظرفاء أهل الادب . الذين قد أسرعوا في الطلب . واوضعوا فى الدأب . فعرفوا حدود الطرائق ووقفوا على وجوه الحقائق . وقليل ما هم فان محل معناهم في صحيح النظر الخفى ، وواضح الخبر الجلى ، فاني حين تأملت سقوط الحال فى أخلاق الجلساء ، وشمول الاخلاء في مذاهب الندامى حتى قبحت بهم النعمة ، وحسنت منهم الحشمة، وانصرف

JAN 8 1973

السمع والبصر عن قبيح لهوهم الرث ، وذميم هزئهم الغث ، ونبت النفوس عن مباشرة حديثهم السوقي ، ولفظهم العامي ، عملت على مجانبة منادمتهم تكرما ، واعتزال معاشرتهم تلوّما ، وعدلت الى ما يجب لنفسي على نفسي من تحصيل فصول التماثيل المتصلة باللفظ المنثور والقريض المشهور ، في ريحانة الانفس ، وعروس المجلس ، وشقيقة الدرياق ، وماسكة الرماق ، وتحفة العشاق ، ونافية الهموم ودافعة الغموم ، ومفتاح تباشير السرور الكامل ، والطرب العاجل ، فنظمتها في كتابي هذا وجعلته عوضاً ممن حياته تورث الحزن ، وموته يضحك السن ، وخلفا من مشاهدة من لا يوثق به ، ومنافثة من لا يؤنس بأدبه وسجيته . مما يليق حمله بالسلطان ، وترتاح اليه الاخوان وتعجب به جوارى القيان . وبنيته على فصول أربعة ، تحيط باصول المنفعة ، وجعلت كل فصل منها قائماً بنفسه ، ومنتظما بمجاوره فجعلت ﴿الفصل الاول﴾ مفرداً لما قيل في الكروم والاعناب وفضائل الشراب ومشهور خاصته المذكورة عند الخاصة وعلامته المحيطة بأفعاله الموجودة منه في شريف جوهره ولطيف نسيمه وظريف حركته في حديثه ومتوسطه وعتيقه وذلك على معرفة ألوانه عند علماء الطب كالاحمر والاصفر والابيض والاسود . واردفت كل نوع منها بايضاح ما ورد من التماثيل الصحاح في أشعار العرب الخاص

كتمثيلها الاحمر بدم الظباء وخدود النساء وتمثيلها الاصفر منه بتوقد الكوكب ، وصفرة الذهب ، وتضرم اللهب ، وتمثيلها الابيض منه بتألق الانوار ، وبياض النهار ، ونقاء الماء ، وصفاء دموع المرأة المرْهاء ، وتمثيلها الاسود منه بحبر الكتّاب وسواد الغراب. وجعلت ﴿ الفصل الثاني ﴾ مفرداً لما قيل من الدلائل على اختيارات أنواع الاشربة من الروم والفرس والعرب ، فأوردت سبب الاختلاف الحادث في محبتها له من قبل الاشكال والحركات والبلدان. ثم أتبعته بذكر جماعة الاوانى كالزقاق والدنان والاباريق المفردة بأنفسها والمقرونة بغيرها وذكرت الكاسات والجامات والكيزان والصوانى والاقداح والقناني وختمت ذلك بصفات أصحاب الشراب. وجعلت ﴿ الفصل الثالث ﴾ مفرداً لما قيل في تحريم الشراب وتحليله وما جاء من التعرض منه فيما له مثل منفعته ، ثم أشرت الى تدبير الشراب حتى يوافق المزاجات المختلفة التركيبات وأبنت عن كيفية ما يؤخذ منه على الطعام وبعده وكمية ما يشرب من صرفه وممزوجه وعن حقوق المنادمة ، وعن آداب الشراب واستهدائه وعن الصبوح والغبوق والنقل. وجعلت ﴿ الفصل الرابع ﴾ فى وجود سبب السكر واختلاف أفعال الاقداح فيه وتباين حركاته فى الابدان الى غير ذلك من أوصاف فضائله والارشاد الى استدعائه وذمه ورفعه عن

جوهر العقل وما قيل في العربدة وفي الاعتذارات عن جرائر السكر والخمار وأنواع علاجاته

فهذه جملة آداب الشراب قد جمعتها في أبواب هذا الكتاب إذ كانت بكمالها فيه تجلب المحبة ، وتزيد في الهيبة ، وتجود بأجل الحمد ، وتعود بعاجل المجد ، وتذب عن الدين وتعضد في معرفة البراهين ، وتجدد حالا ، وتكسب مالا ورب كتاب يغني عن اكثر الاصحاب ، وينوب عن حضور الاحباب ، ويفيد محمود الآداب ولله در القائل :

اطلب لكأسك ندمانا تلذ به اولا فنادم عليها جلة الكتب

ولم أر صوابا أن أجري فيما صنفته . وأذهب فيما ألفته من سائر كتبي ووجوه مطالبي الى مثل ما أجرى اليه وذهب اليه علماؤنا من مجاورة المعاني الشريفة بالمعاني السخيفة فيازمني العيب ممن تقدمت في عيبه وأكون كمن وعظ غيره وانسى مكان الوعظ من نفسه . بل قصدت الى تخليد ما يوقظ اللب ويعمر القلب ويصلح للخفة والمذاكرة والمباهاة والمفاخرة . وتنكبت ما يسهل على الرعية حمله ، الى ما يضجرها نقله ، ليستوطن شريف اختياري محله ، ويسعد به أهله ، ويحظى بكريم جوهر الخاصي ذو الشرف والعديلي [1]

(١) كذا في الاصل

اذ كان أحق الناس بفاضل الأدب وأشدهم مغالبة عليه ومسارعة اليه وأولاهم باجتذاب مكنونه ، وانتهاب مخزونه ، من كان صريح النسب صحيح المركب ، جميل المذهب . حميد المطلب ، طيب المكسب ، ألا ترى أن جماعة العوام متى وصلت الى آداب الملوك العظام بطلت المآثر وسقطت المفاخر ، وصارت الرؤوس كالاذناب والأذناب كالأذياب ، وصح الخبر المروي عن الرجل المرضي « لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا » هذا وليس شيء أضر من تمثل السخيف بالشريف ، واللئيم بالكريم ، والذليل بالجليل ، والحقير بالخطير ، والمهين بالمكين ، ولا أعظم ضرراً على صاحب المملكة ثم الأقرب فالأقرب من خاصة أولاده ووجوه قواده وعامة أجناده من هرج السفل وخمول أهل النبل وتعزز الخول وعزلة أولى الفضل لان ذلك أجمع يغرس المحن ، ويوقد الفتن ، ويكدر النعم ، ويسل سيوف النقم ، ويبعث على تهدم الدول وتنقل الملك ويحوّل الرياسة ويزيد في اضطراب السياسة.

والى الله تعالى أرغب في حياطة ديني ، وحفظ يقيني واياه أسأل أن يصلي على محمد وآله

ما قيل فى الاعناب

قال أبو العباس: الكرمة شجرة مكرمة شريفة العنصر تزهر بورق يجلو البصر كأنه السندس الأخضر تضحك عن ثمر حلو المخبر كأنه شماريخ الجوهر، وكبائس الشذر المعنبر، استخرجته الايام من الغمام، ونقلته الازمان الى ضمائر الاغصان فصار غذاء يراه العيان بعد ان كان هواء خفى المكان ثم عاد ماء كالزعفران وكعصارة المرجان لطيف المنظر جميل المصور يدل على حقيقته شيئان لون معصفر ونسيم معطر، كأنه المسك الاذفر. قال الطائى:

ومعرس للكرم تخفق فوقه رايات كل دجنة وطفاء
نشرت حدائقه فصرن مآلفا لطرائف الاهواء والانداء
وسقاه مسك الطل كافور الندى وانحل فيه خيط كل سماء

وقد مثلت العرب حدائق الكرم بمسارح البعران، ومثلت عناقيد الأعناب باشباح الفصلان، ومثلت درور اللبن الغزير بشريف درور العصير والى هذا المعنى ما ذهب الاخطل فى قوله:

فمن يك أضحى من لقاح شرابه فلقحتنا خضراء جون فصيلها

ومن هذا قال الحكمي يصف كرما.

لناهجمة لا يدخل الفحل وسطها ولا راعها منه هدير ولا خفر

اذا امتحنت ألوانها مال صفوها إلى الجوالا ان اوبارها خضر
اذا ما امتراها الحالبون الفتهم سجلا نقب الجرب درتها الخمر
مسارحها الغربى من نهر صرصر فقطربل فالصالحية فالعقر
تراث أبي ساسان كسرى ولم تكن مواريث ما أبقت تميم ولا بكر

ونحن نرى أن الاخطل والحكمى عولا فى هذا المعنى على قول بعض الاغفال وهو :

لما رأيت الحظ حظ الجاهل ولم أر المغبون غير العاقل
ركبت عنسا من كروم بابل فصرت من عقلى على مراحل

ومن التماثيل البديعة الاقدار ، المرتفعة الاخطار التى لا أصل لها فيعرف ، ولا فرع فيوصف قول رجل من أغفال العرب يصف عناقيد العنب: غير ذى أب مذكور ، ولا حسب مشهور ، ومثلها يمخالب النغران وهو طير يشبه العصفور

يحملن أوعية المدام كأنما يحملنها با كارع النغران

فأما التماثيل المشتركة في صفات العناقيد فما كان يحيا مستقرا الا على وجهين الاول منهما قول امرأة من العرب تصف ضفائر شعر لابنة كانت لها (لابنتى شعر كاذناب الخيل ، ينال منها الذيل ، ان ارسلته قلت سلاسل ، أو مشطته قلت عناقيد جلاها وابل) ومن هذا المعنى قولى :

يدور علينا الكأس من يد شادن له لحظ عين يشتكي السقم مدنف
كان سلاف الخمر من ماء خده وعنقودها من شعره الجعد يقطف

والوجه الثاني تمثيل العنقود بالثريا قال رؤبة بن العجاج في كلام له غير مقفى يصف ماء ورده (وردت ماء بني فلان والنجم قد تصوب للغروب كأنه عنقود ملاحي) ومن هذا قول مسلم بن الوليد في أبيات له :

لم نزل نشرب المدام ونشدو والثريا كأنها عنقود

قال ابو العباس وعلى هذه الحكاية عوات في قولي :

أهلا وسهلا بالناي والعود وشرب كأس من يد معدود
قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لاكل عنقود

قال ابو العباس ومن التماثيل الضائعة على العرب تركهم تمثيل العنقود بالقرط على قياس تمثيلهم العنقود بالثريا والثريا بالقرط وقد ذكرنا ذلك في كتابنا « البديع »

وأما التماثيل التي لم تخرج الى صناعة الشعر في صفات الاعناب كقول العرب أتانا فلان بعنب كأنه أنامل الابكار . وأتانا بعنب كانه ثمار الانوار . وأتانا بعنب كانه جنى البهار . وربما مثلوه بأنامل الجواري وأنامل العذارى وهما من المعنى الاول . قال أبو

العباس وقلت مبتدعا غير متبع أصف عنبا

ورازقي مخطف الحضور كانه مخازن البلور
قدضمنت مسكالى الشطور وفى الاعالي ماء ورد جورى
لم يبق منه وهج الحرور الا ضياء في ظروف نور
لو انه يبقى على الدهور قرط آذان الحسان الحور

بلا فريد وبلا شذور

ما قيل فى فضائل الشراب

قال أبو العباس : الشراب مشمة الملك وتاج بدره وعروس مجلسه ، وتحفة نفسه ، وشفاء حزنه ، لم يزل بتوليد التوددمعروفا ، وبتألف الشمل المتبدد موصوفا ، ان تمشى فى عظام الاخوان منهم صدق الحس وذكى النفس وان جرى في مفاصل الزمان أباحهم فراغ البال وكثرة المال ، وإن يطرب الى شربه ذو أدب ، أو ارتاح لمصافحته ذو حسب ، طال باعه ، ورحب ذراعه ، وزين لنفسه الجود ، وبذل منها فوق المجهود ، وتطوع الاحسان وتناسى جرائم الزمان ، ولم يفكر في عواقب الحدثان ، ورغب في التوسع ، وتمدح التشجع ، وعانق بكمال بشره جمالا صوره السر ورحل عن مربع ساحته قبيح حال الفقر وامتلأ سروراً وقاد خيراً

قال بشار الضرير :

ترجع النفس اذا وقرتها وشفاء الهم في خمر وماء

وقال أيضا :

اعاذل أن العسر سوف يفيق وان يساراً في غد لخليق
وما أنا إلا كالزمان إذا صحا صحوت وان ماق الزمان أموق
ذريني أشُب همى براح فانني أرى الدهر فيه كربة ومضيق

وقال الحكمي :

لو لم يكن في شربها من راحة الا التخلص من يد الغير

وقال سلمة بن الوليد :

إنعم لديك من الشراب فانه نعم المعين على الزمان الفاسد

وقال آخر :

بنات الكروم تسلى الهموم وتسلى الغموم وتنفى العدم
وتهطل بالجود كف البخيل وتذهب حشمة من يحتشم

وقال البحترى :

لا تكمل اللذات الا بالقيان وبالخمور
هتك الستور وانما اللذات فى هتك الستور
فاخلع عذارك فى الهوى وادفع مهمات الدهور
واعلم بأنك راجع يوما الى رب غفور

يا اخوتى دام السرور لكم ودمتم للسرور

قالوا وهو مع ذلك من أجلب الاشياء للسرور الكامل وأصنعها للفرح العاجل ، يمازج الاشباح ، ويراوح الارواح ويؤدى الى نشأة القوى ، وانبساط الهوى، ويعفى من الحذر ونصبه ،والتحرر وتعبه ، ويحبب المزاح والمفاكهة ، ويبغض الاستقصاء والمحادة ، ويزيل عن المقتصد فى شربه العارف بمقدار منفعته الراغب فى تحصيل لذته تفقد الحشمة وتوكد المروءة. ولقد أحسن الحكمي فى قوله

جلبت لاصحابى بها درة الصبا بصفراء من ماء الكروم شمول

اذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همه من صدره برحيل

قال أبو العباس ولي فى هذا المعنى

داو الهموم بقهوة عذراء

واصرف بصرف الراح صفو الماء

خاصية الشراب

قال أبو العباس أول خصائص الشراب جودة الهضم ودفع مضرة الماء وازالة مكروه الادواء

من التماثيل الشاذة فى هذا المعنى قول العرب أتانا فلان بشراب كأنه مصباح الظلام . وشفاء الاسقام . ولله در الأعشى حيث

يقول فيما قارب هذا المعنى ولقد أبدع فيه وبرع فيه القائلين

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
ليعلم من لام أني امرؤ أتيت اللذاذة من بابها

ومن هنا قال الحكمي :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

قال أهل النظر فللأعشى حق التقدم الى صياغة المعنى وللحكمي حسن التمثيل والزيادة فيه .

قال المفضل الضبي كنت يوما عند الرشيد فقال يا مفضل دلني على معنى لطيف حسن خفيف يبعث على استخراج خبيئه في مقارعة الفكر ثم دعني واياه فقلت له يا أمير المؤمنين أصلحك الله بيت أوله اعرابي هب من نومته فى شملته وآخره مدني رقيق قد غذى بماء العقيق ففكر ساعة ثم قال لا والله لا أدري ما هو فقلت يا أمير المؤمنين هذا جميل بن معمر يقول * ألا أيها الركب النيام ألا هبوا * فهذا كما ترى يا أمير المؤمنين اعرابي هب من نومه في شملته ثم أدركته رقة الشوق فقال ، نسائلكم هل يقتل الرجل الحب . فقال لي صدقت يا مفضل فدلني أنت على بيت من الشعر أوله أكثم بن صيفي في اصالة الرأي وحسن الموعظة وآخره هو بقراطيس فى معرفة الداء والدواء. قال فقلت والله يا أمير المؤمنين لقد هولت علي حتى

أنتى لست أدرى بأي مهر يفترع عروس هذا الخدر فقال بانصافك واصغائك هذا الحكمى يقول

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

وقال أيضا

صفة الطلول بلاغة الفدم فاجعل صفاءك لابنة الكرم
لاتخدعن عن التى جعلت سقم الصحيح وصحة السقم
وشقيقة النفس التى حجبت عن ناظريك وقيم الجسم

وقال ديك الجن شاعر الشام

بها غير معذول فداو خمارها وصل بحبالات الغبوق ابتكارها
ونل من لذيذ الوزر كل عظيمة اذا كتبت خاف الحفيظان نارها
وقم أنت فاحثث كاسها غير صاغر ولاتسق الا خمرها وعقارها
فقام تكاد الكاس تأكل كفه من الشمس او من وجنتيه استعارها
مشعشعة من كف ظبي كأنما تناولها من خده فأدارها

العلامات المحيطة

بأفعال الشراب

أول علامات الشراب اسخان البدن اذا استعمل على اعتدال وترتيب . والثاني تحريك القوى النفسانية والثالث الزيادة في الدم

حتى يراه العيان اما في لون ظاهر واما في ماء أو في حس وليس يوجد شيء من هذه العلامات الا في ماء الكروم خاصه فان قال لنا قائل فلم صار الشراب اذا ورد على عمق البدن أسخنه ولا يسخنه اذا لقيه من خارج قلنا ان الشراب اذا غيره البدن وشبهه به صار له غذاء واذا لقى البدن من خارج لم يسخنه لانه ليس هناك حرارة فتغيره وقلنا أيضا ليس كلما ورد الشراب على البدن اسخنه لكنما يفعل ذلك اذا كان مايتناوله الانسان منه بمقدار معتدل فحينئذ يصير نظيراً للطعام اذا كان مقداراً معتدلا .

القول على شريف جوهر الشراب

قالت الحكماء خير الاشربة ما افتتح بمسرة وختم بفترة. قال أبو العباس قال لى أمير المؤمنين المعتضد بالله «خير الاشربة ما كان صافي الاديم . ذكى النسيم » ومثل هذا قول المأمون «خير الاشربة ما كان لذيذ الطعم ذكى المشم» قال أبو العباس ونحن نقول خير الاشربة ما أخذ برد الماء ورقة الهواء وحركة النار . وصفاء النضار . الذي ان كان أحمر قلت كأنه حمرة الخجل . وان كان أصفر قلت كأنه صفرة الوجل . وان كان أبيض قلت كأنه عوارض الغزال الا كحل . وقال الحكمي :

غننا بالطلول كيف بلينا واسقنا نعطك الثناء الثمينا
من شراب كأنه كل شيء يتمنى مخيراً أن يكونا

ومن التماثيل الخارجة عن الشعر قول ظرفاء العرب أتانا فلان بشراب أبهى من الحلال ، وأحلى من الحرام. وعلى هذا التمثيل عول بعض أهل العلم وقد قال له رجل أتيتك أخطب اليك مودتك فقال لاحاجة بك الى الخطبة قد أتتك زنا. فهو ألذ لها وأشهى .

وتقول العرب أتانا فلان بشراب أشرف من المهاجرة بالفتك. وألطف بالمجاهرة من المماكرة فى الملك .

وقال الحكمي

اسقنا ان يومنا يوم رام ولرام فضل على الايام
من شراب ألذ من نظر المعشو ق في وجه عاشق بابتسام
لاغليظا تنبو الطبيعة عنه نبوة السمع عن شنيع الكلام

وقال الطائي يمدح

خذها فمازالت على استعلائها مشغولة بمثقف ومقوم
زهراء أحلى في الفؤاد من المنى وألذ من ريق الاحبة في الفم

قال أبو العباس وهذا معنى حسن ولو حول الى الشراب جاء بديعا .

القول على لطيف نسيم الشراب

قالت الاطباء : للشراب رائحتان عطرية وردية فالشراب العطري جيد في توليد الدم إلا أنه يضر بالرأس والشراب الردى الرائحة مذموم لانه أردى الاشربة . فأما التماثيل الواردة فى أوصاف العرب فما جاءت أراييح الخمر فيها ممثلة الا بالعطر والزهر قال الاخطل

كأنمك المسك نهبى بين أرجلنا ... مما تضوع من ناجودها الجارى

وقال الحكمى

جاءت بخاتمها من بيت عطار ... روح من النار في جسم من القار

فالريح ريح ذكى اللاذن الدارى ... والبرد برد الندى والاون للنار

وقال أيضا

فلما عمدناها بسفك تبادرت ... تباشير رياها ونكهتها السفكا

كأن أكف القوم والآلة التى ... يديرونها ما بينهم ضمخت مسكا

وقال محمد بن رزين

عروس غذا المسك أصداغها ... مضمخة الجيد بالزعفران

يطوف علينا بها أحور ... يداه من الكأس مخضوبتان

قال أبو العباس ومن قولى فى هذا المعنى :

عبقت أكفهم بها فكأنما يتداولون بها سحاب قرنفل
تسقيكها كف اليك حبيبة لابد ان بخلت وإن لم تبخل

وقال أيضا

أعطتك ريحانها العقار وحان من ليلك انسفار

المعنى انك شربتها فتحولت رائحتها اليك . وقال أيضا :

فتنفست فى البيت إذ مزجت كتنفس الريحان في الانف

وقال أيضا

من قهوة جاءتك قبل مزاجها عطلا وألبسها المزاج وشاحا
سد البزال فؤادها فكأنما أهدت اليك بريحها تفاحا

وقال البحترى

ولها نسيم كالرياض تنفست في أوجه الارواح والانداء
وفواقع مثل الدموع ترددت في صحن خد الكاعب العذراء

قال ابو العباس وقد رأيت بعض العرب وقد مثل رائحة الشراب برائحة الاحباب فأحسن فيما ذهب اليه وأجاد فيما عول عليه وذلك قوله في معناه :

شيئان لايجد المشتم بينهما فرقا ومابهما فقر الى الطيب
ريح الحبيب ونشر الراح بعد ولم أحكم بذلك الا بعد تجريب

ومن ههنا قال البحتري

ولديك صهباء كأن نسيمها من طيب عرفك لا نسيم ثنا كا
وكأن بشرك في شعاع كؤسها لما توالت في الا كف دراكا

وقال بعض العرب يصف قوة رائحة الشراب

وشرب كرام حسان الوجوه تغاديهم النشوات ابتكارا
كميت تكاد وان لم تذق تنشى اذا الساقيان استدارا

فذكر انها تسكر برائحتها وهذا من بديع المعاني الغريبة ولم نر مثله الا لمسلم بن الوليد ونرى انه عليه عول ومنه أخذ وذلك قوله :

فلم يبق منها سوى ريحها ونكهة طعم لها لم تزل
كفاني من شربها شمها فرحت أجرر ثوب الخجل

قال ابو العباس وقلت :

ان راحا قال الالاه لها كو — نى فكانت رواحا وريحا وراحا
درة حينما أديرت أضاءت ومشم من حيث ما شم فاحا

القول على ظريف حركة الشراب

قال أهل الحكمة يعرف كرم الشراب من اعتدال حركته. قالوا وخير الاشربة ما كان بعيدا في حركاته من اغتصاب الزبيبي

وافتراس الدادى، قريبا من مغازلة العقل ومقارصته ومحادثته ومخادعته يكسب شاربه سروراً ويجعله ملكا محبورا والى هذا المعنى أشار شاعر الشام في قوله :

فلم أزل من ثلاث واثنتين ومن ... خمس وعشر وما استعلى وما لطفا
حتى حسبت أنوشروان من خولى ... وخلت ان نديمي عاشر الخلفا

وقالت الحكماء لاخير في الشراب اذا كان سكره تعلما وأخذه الرأس تعسفا ، حتى يميت الحس بحدته ، ويصدع الشارب بسورته ، ويورث البهر بكظته، ولا يسرى في العروق لعكره ، ولا يجرى في في البدن لكدره ، ولا يدخل في العروق ولا يبلغ الصميم . قالت العرب أفضل الاشربة جوهراً واكرمها مخبراً ما أسكر بالحيلة والتفتير ، والختل والتخدير وحبب النوم وزين الصمت. والعرب تقول أيضاً شراب أظرف من الاختلاس والطف من الدبيب وقد أدارت الشعراء أوصاف دبيب الشراب في أشعارها فقال في ذلك الاخطل وأحسن

تدب دبيبا في العظام كأنها ... دبيب نمال في نقا يتهيل

وقال أبو الهندى

ولها دبيب في العظام كانه ... فيض النعاس وأخذه في المفصل

قال أبو العباس وذاكرنى أمير المؤمنين المعتضد بالله بهذا فقال

لى من أين أخذ أبو الهندي فقلت من قول منصور بن بحر في وصف سيف وأنشدته قوله

وكأن موقعه بجمجمة الفتى خدر المدامة أو نعاس الهاجع

فقال لى أحسنت فمن أين أخذه الاخطل فقلت لا علم لى يا أمير المؤمنين فقال : أول الناس أحسن فى وصف لطف الدبيب أمرؤ القيس في قوله

سموت اليها بعد ما نام أهلها سموَّ حباب الماء حالا على حال

فقلت يا أمير المؤمنين من هنا والله أخذ القوم أجمعون هذا المعنى وأوردوه بألفاظ مختلفة

وقد حكى الحكمى هذا المعنى في قوله

قامت بابريقها والليل معتكر فظل من ضوئها في البيت لألاء
فأرسلت من فم الابريق صافية كأنما أخذها بالعقل أغفاء

وقال أيضاً

قرعتها بالمزاج يدٌ خلقت للكأس والقلم
من ندامى سادة نجب أخذوا اللذات عن أمم
فتمشت في مفاصلهم كتمشى البرء في السقم

وقد اختلف في هذا المعنى فذكر قوم أنه مبنى من قول الاخطل في صدر الباب وقال قوم بل نقله الحكمى من كلام جارية

من جوارى القيان وذلك أنه سألها عن صاحبة كانت لها عليلة فقال ما حال فلانة في علتها فقالت قد دبت العافية فى بدنها وقال لى رجل من ثقاة أهل الادب المعنى لمسلم بن الوليد نقله الحكمى الى صفة الشراب وأنشدني قول مسلم

فرعاء في فرعها ليل على قمر ... على قضيب على دعص النقا الدعس
كأن قلبي وشاحاها إذا نظرت ... وقلبها قُلبها فى الصمت والخرس
أذكي من المسك أنفاساً وبهجتها ... أرق ديباجة من رقة النفس
تجرى محبتها في قلب عاشقها ... جرى السلامة في أعضاء منتكس

وقال الطائى

وكأس كمعسول الامانى شربتها ... ولكنها أجلت وقد شربت عقلى
اذا هى دبت فى الفتى ظن أنه ... لما دب فيها قرية من قرى النمل
إذا ذاقها وهى الحياة رأيته ... يعبس تعبيس المقدم للقتل

ومن ههنا قال الحسن بن رجاء لرجل شرب بحضرته كاسا فعبس وجهه ما انصفتها تعبس في وجهها وهي تضحك في وجهك. وفي نحو هذا أقول :

ما أنصف الندمان كأس مدامة ... ضحكت اليه فشمها متعبس

الحدود الجامعة لاحوال الشراب

قالت الحكماء: للشراب ثلاثة أحوال الحديث الحلو وهو حار رطب والثانى المتوسط وهو حار معتدل والثالث المعتدل وهو حار يابس . وقد قال قوم من نظارهم: فى الشراب الواحد أربعة أجناس من القوى وذلك نظير لاربع طبائع هن في الانسان، وسألت حنينا عن هذا فقال لى هو صحيح والدليل على ذلك ان ماعلا وطفا في الدن من الشراب النقي نظير للدم وان ما سكن في أسفله من الفضل الغليظ بارد يابس نظير السوداء وان النوع الثالث هو الرقيق الخفيف الزبدى الحار الذى يصفو عند تولد مزاج الشراب ويعرف عندهم بالتوام وهو نظير المرة الصفراء . وذكروا أن الرابع هو الفضل المائي الذى يفنيه الزمان كلما عتق وهو عندهم نظير البلغم .

القول على الشراب الحديث

قالوا لا ينبغي أن يشرب الشرب الحديث جداً ولا سيما ان كان في بدنه غلظ لان ما كان كذلك من الشراب يكدر ما يستمرى فضلا عن ان يمرى الطعام وهو مع ذلك بطيء الانحدار والنفوذ الى البدن وليس يدر البول ولا يعين على توليد الدم ولا يصلح

لغذاء البدن لكنه يبقى في المعدة مدة طويلة ويطفو فى أعلاها مثل الماء وان تناول المتناول منه فضل قليل أسرعت الحموضة وليس من الشراب الحديث شيء ينتفع به الا الرقيق. ومما يستدل به على رقة الشراب ان يرى جرمه شبيها بالماء ويكون لونه الى البياض فاذا ذقته لم تجد له طعماً ولا فيه قبضا وليس يحتمل ما كان هكذا ان يمزج بماء كثير . ومن آفات الشراب الحديث أيضاً انه يولد أحلاما ردية .

القول على الشراب المتوسط

قالت الاطباء: الشراب المتوسط ما كان بين الحديث والعتيق وقلت لغير واحد وسألت حنينا أيضاً عن هذا فقال لى الشراب لسنته واللحم لوقته والخبز ليومه . وقالوا ليست في الشراب المتوسط مضرة الحديث ولا مضرة العتيق فلذلك ينبغى ان يختار فى الصحة وفى حال المرض . ويحتاج فى معرفة الاشربة الى معرفة الطعوم والقوى . وقال لى حنين وقد سألته عن هذا المعنى ان يوجد في شيء من أنواع الاغذية والاشربة أكثر من اختلاف الشراب الا اني أقول ما كان من الشراب فيه قبض معتدل سريع النفوذ مقو للمعدة مهيج لشهوة الطعام صالح للغذاء جالب للنوم

محلل للريح والنفخ التى تكون في أعلى البطن وهو يشد المعدة اذا استرخت ويحبس الاختلاف الحادث منها ومن الامعاء ويقطع العرق الذى يكون من ضعف المعدة والقوى والغشي هذا قول حنين.

وقال أيضا الشراب الغليظ أبطأ انهضاماً ونفوذاً الا انه ان صادف قوة من المعدة حتى يستحكم انهضامه غذى البدن غذاء كثيراً وبحسب فضل غذائه على الشراب اللطيف نقصانه فى ادرار البول

وقال لى ايضا حنين: طبيعة الشراب الغليظ تدل على أن غذاءه أكثر من غذاء الشراب الرقيق. وقال ان التجربة تدل على ذلك

القول على الشراب العتيق

قالوا: الشراب العتيق يضر العصب وسائر الحواس فلذلك ينبغي أن يحذره من كان في شيء من هذه الاعضاء منه ضعف وقالوا ان كثرة المزاج تعدله ويسلم من مضرته. وقد تتابعت الشعراء على مدح الشراب العتيق بالقدم والهرم قال الحكمي

بنت سنى الدهر والليالي كبيرة شأنها كبار
تحيرت والنجوم وقف لم يتمكن بها المدار

وقال أيضاً

فاتتك في صور تداخلها البلى فأزالهنَّ وأثبت الارواحا

وقال أيضاً

عتقت حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم
لاجتلت في القوم ماثلة ثم قصت قصة الامم

وقال أيضاً

حتى اذا الدهر أبقى من سلالتها جزء الحياة وقد ألوى بأجزاء
دبت اليها من الاحداث ماسكة أبلت عوائد من أخبار تيماء
لم يبق من شخصها الا توهمه فالشيء منها اذا استثنيت كاللاء

قسمة ألوان الشراب

الالوان الصحاح أربعة الاحمر والاصفر والابيض والاسود اثنان منها يعتريها المزاج واثنان لا يعمل فيهما المزاج، فالاسود والابيض لا يعتريها المزاج وأما ما يعمل فيهما المزاج فالاحمر ان أكثرت مزاجه صار أصفر قال الحكمي فما ترك لاحد مقالا فيما ذهب اليه وعول عليه من لطيف المعنى والابعاد في السرى في أبيات له

وحمراء قبل المزج صفراء بعده
غدت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت حمرة المعشوق صرفا فسلطوا
عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

القول على الشراب الاحمر

قال جالينوس ان أصلح الاشربه لتوليد الدم ما كان أحمر غليظا لازما وما كان كذلك من الشراب فليس يحتاج من التغيير الا الى شيء يسير حتى ينقلب فيصير دما. وقال جالينوس الشراب الصافي المنير اذا كان متوسطا في منظره فهو أيضا متوسط في قوته وهو مع ذلك يولد دما معتدلا بين الغليظ واللطيف وهو طيب الراحة عطرى

التماثيل الواردة من الشعر

فى الشراب الأحمر

أكثر ما ورد من هذا النوع ممثلا بدماء الظباء وحمرة خدود النساء، قال الأعشى

ومدامة مما تعتق بابل كدم الذبيح سليبتها جريالها

الجريال اللون الاحمر ومعني البيت أنى شربتها حمراء ونبتها[1] بيضاء. هذا معنى حسن وان كان مستوراً وقد عمل عليه مسلم بن الوليد فجاء به مكشوفا قال مسلم :

(١) كذا في الاصل

وان شئتما أن تسقياني مدامة فلا تقتلاها كل ميت محرم
خلطنا دما من كرمة في دمائنا فأظهر في الالوان منها الدمَ الدمُ
وتعطف بنت القوم فيها بسحرة بصهباء صرعاها من السكر نوّم
فأغفت وللكاسات فى وجناتها لهيب فويق الورد أو هو أضرم

وقال الحكمى

أدر ياسلامة كأس العقار فانى خلى خليع العذار
شراب اذا صب فى كأسه يصب على الليل ثوب النهار
يسالبها الماء جريالها فتهديه للعين نوم الخمار

قال أبو العباس :

ومقتول سكر قد بعثت بسحرة فبادر مسرورا يرى غيه رشدا
وقام تثنيه بقايا خماره وعيناه من خديه قد جنتا وردا

فأما ما جاء من التماثيل الواردة فى حمرة الشراب بحمرة الورد فى الخد فمنه قول شاعر الشام

فقام كأن الراح في صحن خده
من الورد أو من وجنتيه استعارها
موردة من كف ظبي كأنما
تناولها من خده فأدارها

وقال أبو العباس

فقام بالراح يجلى ورد وجنته مقرطق من بنى كسرى وشيرين
عليها كليل آس فوق مفرقه قد رصعوه بأنواع الرياحين

وقال أيضاً

أقول وفي كأسه فضلة أيا خمر قد جئت من عنده
فأين حبابك من ثغره وأين احمرارك من خده

القول على الشراب الاصفر

ما كان من الشراب أصفر يضرب الى الحلاوة طيب الرائحة فلاينبغي أن يشرب به من كان الغالب عليه المرار الاصفر ولا من أصابه الحر ولا من تعب ولا من قلل غذاءه أو اغتم ولا فى الاوقات الحارة ولا في الهواء الحار

وهو جيد للابدان التي تحتاج الى أن تسخن ولمن كان الغالب عليه البلغم وهو المزاج البارد ولمن كان فى بدنه خلط كثير ولمن كان فى البلاد الباردة ولمن كان شأنه الخفض والسكون ولمن كان فى الشتاء والهواء البارد الرطب وانما كرهوه للذين وصفنا حالهم قيل لا من قبل أنها تولد دما رديا لكن من قبل انها تسخنهم وهم يحتاجون الى التبريد ومتى شرب أحد ممن تلك حاله هذا النوع من الشراب

عرض له صداع من وقته وحمى وأوجعة عصبية اذا كان الشراب كما وصفت يضرب الى الحلاوة على انه ليس يوجد من الشراب شيء أصفر مستحكم الحلاوة قالوا والشراب الاصفر لحرارته حين يشرب يملء الرأس

التماثيل الواردة من الشعر

في الشرب الاصفر

العرب تمثله فى أشعارها بثلاثة أشياء: بتوقد الكوكب وبصفرة الذهب وبتضرم اللهب . قال رجل من العرب

وساق له سبع وسبع كانه هلال له خمس وخمس وأربع
تناقلنا منها كؤس كانها نجوم على أيدى المديرين وقع
اذا كرروها بالمزاج رأيتها عليهن أحياناً تغيب وتطلع

ومن ههنا قال الحكمي فى هذا المعنى

فى كؤس كانهن نجوم طالعات بروجها أيدينا
طالعات مع السقاة الينا فاذا ماغربن يغربن فينا

ونحوه قوله

وكأنما يتلو طريدتها نجم تواتر فى قفا نجم

وقال أيضا

يدور بها ساق أغن يرى له على مستدار الاذن صدغا معقربا
اذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا

وقال أبو العباس

كأنها والكاس فى كفها بدر الى جانبه كوكب

وله أيضا

كأنما صب كأسه قمر يكرع فى بعض أنجم الفلك

وله أيضا

كأنه وكأن الكاس فى يده هلال أول شهر غاب فى شفق

قال أبو العباس وقلت فى معنى قوله « يقبل فى داج من الليل كوكبا »

ومهفهف تمت محاسنه حتى تجاوز منية النفس
أبصرته والكاس بين فم منه وبين أنامل خمس
فكأنها وكأن شاربها قمر يقبل عارض الشمس

وقال أيضا

قد أظلم الليل يانديمي فاقدح لنا النار بالمدام
كأننا والورى رقود نقبل الشمس في المنام

قال وقلت أيضا

كأنما الكاس الذى شربه متصل بالانمل الخمس
ياقوتة صفراء قد صيرت واسطة للبدر والشمس

فأما التمثيل الوارد من الشعر فى تمثيل الشراب باللهب فأول من جود فيه الحكمى وذلك قوله

ثم توخيت حصرها بشبا — الاشفى فجاءت كأنها الذهب

وقوله أيضاً(١)

قال أبو العباس وعلى هذا المعنى عولت فى قولى

وخمارة من بنات المجوس ترى الزق في بيتها شائلا
وزنّا لهـا ذهبا جامداً فكانت لنـا ذهبا سائلا

وقال الحكمي

ساع بكاس الى ناس على طرب كلاهما عجب فى منظر عجب
قامت تريك وأمر الليل معتكر صبحا تولد بين الماء والعنب
كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

وقال شاعر الشام

فأتى كؤوسكما على ما خيلت كالتبر معجونا بماء لجين
مما يروّى عظم نوح وارتوى منها وان أبقت من العمرين
جانبت عقلى في الحساب فقال لى لا رأى للاذنين دون العين

(١) بياض في الاصل

وقال أبو العباس

قد كان ما كان فانف عنى يا — يحيى نجى الهموم والكرب
واسقنى قهـوة عروس دسا كير عليهـا طوق من الحبب
فصب في الكأس من أبارقه ماءين من فضة ومن ذهب

وقال أيضاً

وساق اذا ما الخوف اطلق لحظه فلا بد ان يلقى بتسليمه صبـا
يطوف بابريق علينـا مفدم فيسكب فى أقداحنا ذهبا رطبا

وقال أيضاً

سعى الى الدن بالمبزال ينقره ساع توشح بالمنديل حين وثب
لما وجاها بدت صفراء صافية كأنها قد سير من أديم ذهب

وقال أيضاً

يا خليلى اسقياني فقد لا — ح صباح وأذّن الناقوس
من شراب كأنه ذوب تبر فى نواحيه لؤلؤ مغروس

واما التمثيل الوارد في صفة الشراب باللهب فأجود ما قالت فيه العرب قول رجل من اغفالهم

ظفرنا بها في الدن بكرا وبينها وبين قطوف الكرم عاد وتبع
فلما استقرت في الزجاج حسبتها سنا البرق فى داج من الليل يلمع

وقال الحكمي

لو ترى الشرب حولها من بعيد قلت قوم من قرة يصطلونا

وقال أيضاً

وكأن شاربها لفرط شعاعها ... بالليل يكرع في سنا مقباس

وقال مسلم بن الوليد

حثثنا مغنينا على شرب كأسه ... فناولته كأساً وفي كفه أخرى
فأمسك ما في كفه بيمينه ... وأومأ الى الساقي ليأخذ باليسرى
فشبهت كاسيه بكفيه إذ بدا ... سراجين في محراب قس اذا صلى (؟

وقال أيضاً

صفراء من حلب الكروم كسوتها ... بيضاء من حلل الغيوم البجس
لطفت ولاذ بها المزاج فحاطها ... فكأن حليتها جنى النرجس
وكأنها والماء يطلب خلطها ... لهب تلاطمه الصبا في مقبس

وقال أيضاً :

وكاس يكون الماء حين يصيبها ... قذى ثم يعلوها بجنان طائر
رحيق تعالى بالمزاج كأنها ... شهاب غضا في كف ساع مبادر

وقال ابو تمام :

وكاس كمعسول الاماني شربتها ... ولكنها أجلت وقد شربت عقلي
اذا عوتبت بالماء كان اعتذارها ... لهيبا كوقع النار في الحطب الجزل

وقال شاعر الشام :

فاصرف بصرفك صرف الماء يومك ذا ... حتى ترى نائما منهم ومنصرفا

فقام مختلفا كالبدر مطلعا والظبي ملتفتا والغصن منعطفا
فاستل راحا كبيض صادفت جحفا خلالنا أو كنار صادفت سعفا

قال ابو العباس وقلت في هذا المعنى :

ومجلس غاب عنه عاذله جن به مزهر ومزمار
وزانه من بنى العباد رشا بالجيد والمقلتين سحار
ابن نصارى يدين دينهم حدث عنه بذاك زنار
قد ركبت كفه مشعشعة ابريقها في الكؤس هدار
تودع بيض الدجاج صفرتها كمثل نور ضميره نار

وقال أيضا :

مازال يقبض روح الدن في لطف كما تطفل سلك الدر فى الثقب
وصبح القوم لما ان رأوا عجبا نور من الماء في نار من العنب

وقال أيضا :

وركب طرقتهم والصباح في وكره واقع لم يطر
كأنهم انتهبوا بينهم حريقا بأيديهم تستعر

وقال ايضا :

قم فاسقني قد تبين الفلق فضية في الزجاج تأتلق
كاننا والمدام يأخذنا نشرب نارا وليس نحترق

القول على الشراب الابيض

قالت الاطباء الشراب الابيض الرقيق مع مضرته للرأس ربما نفعه يسكن الوجع اليسير العارض فيه من بخارات المعدة الحادثة من الاخلاط بعد تعرض الصداع من غير علة تكون في الرأس خاصة من قبل المعدة اذا اجتمعت فيها الاخلاط فما كان من الصداع عارضا من هذا الوجه سكنه شرب الشراب الابيض اللين الضعيف الذى فيه قبض يسير وما كان من الشراب الابيض لا طعم له بتة فنقصانه عن الشراب الابيض الذى فيه على حسب فضله على الماء وقد يعرض لبعض الناس من شرب الماء صداع لا سيما متى كان الماء رديا من قبل ان يفسد وتضعف قوة المعدة فاذا ضعفت تجلب اليها من البدن مرارا كما يعرض لمن يصوم والشراب الذى وصفنا يصلح ذلك الفساد والضرر لانه يخالط ما يجلب الى المعدة من الفضول حتى يكسر قوته ويعدله ثم يقوى المعدة بعد ذلك سريعا فيدفع عنها الى أسفل منها ما يؤذيها

فصول التماثيل فى الشراب الابيض

قال أبو العباس العرب تمثل الشراب الابيض بتألق الانوار وضوء النهار وتمثله بنقاء الماء ودموع المرأة المرهاء قال الحكمي يمثل الشراب الابيض بالنور ·

وكاس كمصباح الظلام شربتها على قبـــلة أو موعد بلقـاء
أتت دونها الاوهام حتى كانها تفتق نور من فتوق سماء

وقال أيضا :

لم يبق من شخصها الا توهمه فالشيء منها اذا استثنيت كاللاء
تمازج الروح في أخفى مداخله كما تمازج أنوار باضواء

وقال أيضا :

رقت عن الماء حتى ما يلائمها لطافة وخفى عن سبكها الماء
فلو مزجت بها صبحا لمازجها كما تمـازج أنوار وأضواء

قال أبو العباس وأما تمثيل الشراب ببياض النهـار فنرى أن المعانى الواردة فيه محولة من أشعار العرب وصفات الوجوه الحسان فنتج منها المولدون أنواعا فى صفات الاشربة قال بشار يصف امرأة في قصيدة له :

خود إذا جنح الظلام فانها تكفى المؤانس فقدة المصباح

فحوله الحكمي الى صفة الشراب فقال :

قال ابغني المصباح قلت له اتئد حسبي وحسبك ضوءها مصباحا
فسكبت منها في الزجاجة جرعة كانت لنا حتى الصباح صباحا
فكأنها والكاس ساطعة بها صبح تقارب أمره فانصاحا

وقال أيضا

لا ينزل الليل حيث حلت فدهر شرابها نهـــار

وقال أيضا

ترى حيثما كانت من البيت مشرقا وما لم تكن فيه من البيت مغربا

وقال أيضا

صنعت في البيت إذ مزجت مثل صنع الصبح في الظلم
فاهتدى ساري الظلام بها كاهتداء الركب بالعلم

وقال أيضا

بنت عشر صفت ورقت فلو صبت على الليـــل راح كل ظلام

فأما ما جاء من تمثيل الشراب الابيض بنقاء الماء فلم نره جيداً مرضيا الا قليلا قال ابراهيم النظام :

يسعى بلؤلؤة من فوق لؤلؤة وكف لؤلؤة فاللون حمصى
ماء وماء وفي ماء يديرهما ماء جرى فيهما فالفكر موهي
اذا أدار علينا الكاس خمسته من كنه أسرارنا فذ حقيقى

في مجلس طرفت عين الزمان به واكتنه من جناح الخفض علوى

وفى قول البحترى طرف من هذا

تخفى الزجاجة لونها فكأنها في الكف ماثلة بغير إناء
يسقيكها رشأ يكاد يردها سكرى بفترة مقلة حوراء
يسعى بها وبمثلها من طرفه عوداً وابداء على الندماء

وأما تمثيل الشراب بصفاء دموع المرأة المرهاء فلم أجده أيضا جيداً إلا قليلا قال الحكمى :

حتى اذا أسندت في البيت واحتضرت
عنـــد الشروق لبسامين اكفاء
فضت خواتمهـا في نعت واصفهـا
عن مثل رقرقة في جفن مرهاء

وقال مسلم بن الوليد

ولئن شربت على تقادم عهدها حلب الكروم شراب غير مصرد
من قهوة كصفاء دمع مشوقة مرهاء تاركة لكحل الأثمد
ظلت مكانمة فبين جفونهـا رقراق دمع فاض أو فكأن قد
وتخاف تحذره فيعلم وجدها فالدمع بين تحـدر وتصعد

وقال مسلم أيضا

عروس سباها العجز من بيت خدنها
كرقة ماء الطرف في الاعين النجل

قد استودعت دنا لهـا فهو قائم
بهـا شفقا بين الكروم على رجل
اذا شجهـا الساقي حسبت حبابهـا
عيون الدبا من تحت اجنحة النمـل
وشجت شمولا بالمزاج فأبرزت
كألسنة الحيات خافت من القتل

القول على الشراب الاسود

قال جالينوس: الشراب الاسود الغليظ الحلو مولد دما غليظا لا سيما اذا كانت علة البطن والمعـدة من مزاج حار وقال ليس للشراب الاسود من الحرارة ما للاصفر وكذلك لا يضر بالرأس ولا بالعصب ولا يولد الحمى كما يفعل الشراب الاصفر. قال جالينوس ليس يوجد شراب غليظ حلو الا وهو أسود و كل شراب أسود يملأ العروق دما غليظا وجملة الوصف في الاسود الغليظ من الشراب أنه بطيء الانهضام بطيء النفوذ وما يعرض منـه من السكر أشد وغذاؤه اكثر وهو يزيد في اللحم وليس ينبغي أن يشك أحد في أن الشراب الغليظ الحلو يلين البطن أسود كان أو أحمر

فصول التماثيل فى الشراب الاسود

هذا شرابه منفى غير مرضى ولذلك لم تعن به العرب ولم تجعل له سهما في الفاظها ولم نر له الا تمثيلين مولدين جاءا في شعر البحترى أحدهما تمثيله بحبر الكتاب والآخر تمثيله بسواد الغراب

قال البحترى

شربت مشمش قطربل وجرعتنا دقل الدسكره
اذا صب في الكاس مسوده فكف النديم بها محبره

وقال أيضا

لو ترانى وفي يدى قدح الدو — شاب أبصرت بازيا وغرابا

قال أبو العباس وأنا استحسن قول الطائى وقد استهدى صديقا له شرابا فأهدى اليه شيئاً لم يرضه فقال

قد رأينا دلائل المنع أو ما يشبه المنع باحتباس الرسول
وافتضحنا عند الندامى بما — شاع لدينا من قبح وجه الشمول
فاجأتنا كدراء لم تشب من تسنيم جريا لها ولا سلسبيل
لا تهدى بسل العروق ولا تنسا خ في مفصل بغير دليل
فكأن الانامل اعتصرتها بعد كد من ماء وجه البخيل
كم صديق قد امتحنا نداه فعرفنا كثيره بالقليل

الابانة عن اختيارات القدماء للاشربة

قال ابو العباس: الروم أعرف الناس بالشراب وأوصفهم له وأعلمهم بمنافعه وأعدلهم مذهباً في استعماله وأكثر ما يختارون منه الاحمر المشبع الصقيل لانه أسهل عندهم في توليد الدم من غيره. فاما الفرس فهم شركاء الروم في معرفة فضائل الشراب الا انهم تختار منه الاصفر لذكاء رائحته ولذاذات طعومه ولان فيه ضرباً من حركة النار ولونها. وأما العرب فانها بين هاتين الحالتين تتصرف بلطائف مدائحها الى ما أحبت من أوصاف الالوان ومن أوصاف الاجناس فتصيب فيه المعنى أو تقارب الاصابة

وقد بلغنا ان رجلا قال للاحنف بن قيس يا أبا بحر ما ألذ الاشربة فقال الخمر، قال وكيف علمت ولم تذقها قال لاني رأيت من أحلت له لا يصبر عنها ورأيت من حرمت عليه يتخطى اليها. وقال أعرابي:

تقول خدراء ليس فيك سوى ... الخمر معابا يعيبه أحد
فقلت أخطأت بالزراية في ... الخمر وبذلى فيها الذى أجد
هي الحيا والحياة واللهو لا ... أنت ولا ثروة ولا ولد

وقيل لامرىء القيس في أى شيء لذتك فقال في بيضاء صافية

تمزجها ساقيه . من صوب غادية . وقيل لابن السايب ما تقول في نبيذ الشعير فقال ذاك نبيذ الرعن قيل فما تقول في نبيذ الخبز قال أشرب حتى تخز قيل فما تقول في نبيذ الدادي قال ذاك أحلى من العسل الماذى قيل فما تقول في نبيذالزبيب والعسل فرفع يديه حتى غطى وجهه العظمة لله الواحد القهار . وقال الحكمي

وانف نبيذ الزبيب عنا ما الخبز الا من الرقيق

الابانة عن السبب

في اختلاف محبة الشراب

اختلاف محبة الشراب من قبل ثلاثة أوجه : من الاسنان والحركات والبلدان فاما ما جاء في ذلك من قبل الاسنان فان محبة الاطفال للشراب ضعيفة من قبل ان الحرارة الغريزية فيهم اكثر ومن قبل ان الدم في ابدانهم أرطب وأغزر فاما شهوة الفتيان ومن كان مقاربا لهم فهى أقوى من شهوة الاطفال من قبل أن الحرارة في أبدانهم تشبه الحرارة التى في الخمر .

وأما اختلاف محبة الشراب من قبل الحركة فلأنهم ذكروا ان ما كان من الابدان يستعمل الرياضة كانت الفضول فيه أقل وكانت شهوته للشراب قليلة على مقدار قلة الفضول فى بدنه وكل ما كان من

الابدان في هذه المنزلة لم يستمر الشراب ولم ينفذ من اعضائه وذكروا مع ذلك ان من الابدان أبدانا تستعمل الخفض والدعة فهي رطبة كثيرة الفضولات فمن أجل ذلك تجود محبة أصحابها بالشراب ويحسن احتمالهم لها .

وأما الاختلاف الكائن فى محبة الشراب من قبل البلدان فان الابدان تشاكل فى الاكثر من الناس للبلدان التي نشأت فيها فمن كان معتدل البلد وكان معتدل الجسد فى الظاهر والباطن كانت شهوته للشراب معتدلة ومن كان يسكن بلداً مفرط الحر غلب على بدنه الحر من خارج والبرد من داخل فقويت شهوته للشراب وتجاوزت حد الاعتدال إما لسبب حرارة ظاهر أبدانهم فتكون شهوتهم حينئذ للمشاكلة وأما لسبب برد باطنها فتكون شهوتهم على جهة المضادة وذلك عندهم كالعلاج

ومن كان يسكن بلدا مفرط البرد غلب على ظاهر ابدانهم البرد وكان الحر باطنا فيها فشهوتهم للشراب ايضا متضاعفة اما لسبب غلبة البرد على ظاهر ابدانهم فتجرى على جهة المشاكلة واما لسبب حرارة باطنها فتجرى على جهة العلاج

ما قيل فى الدنان و الزقاق

قال الاعشى

وترى الزق لدينا مسندا حبشيا نام عمداً فانبطح

وسمع بشار الضرير هذا فقال أنا والله أشعر من أبي نصير في صفة الزق حيث يقول :

فى الفتى الزنجي منه شبه غير أن الزق أذكى وأرق

فانقضى ذاك وكانت شرتي مثل ما كان ذبال فاحترق

وقال الحكمى يصف زقا

ومثل قتيل الزنج سالت دموعه برائعة الاوصاف تنشى وتطرب

قطعت قبيل الصبح عنه رباطه فابرزها تختال فى واللون مذهب

وقال ابو العباس

فى مجلس غاب عنه عاذله نطرد فيه الهموم بالطرب

والزق فى روضة تسيل دما اوداجه جاثيا على الركب

وقال ابو العباس وسألت محمد بن يزيد عن قول المسيب ابن علس :

وصهباء يستوشى بذى اللب مثلها قرعت بها نفسى اذا الديك اعتما

تمززتها صرفاً وقارعت دنها بعود أراك هزه فترنما

فلم يجب فيه بجواب ارتضيه ثم سألت عنه أبا احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في دار أمير المؤمنين المعتضد بالله فقال لي معنى تستوشي أي تستخرج ما عند ذوي اللب مثلها به وذلك كما تقول استوشيت الحديث من فلان أي استخرجته وقوله قرعت بها نفسي أي شربتها فقرعتني ويقال ابتدأت بها نفسي ويروى أيضا مثلها ثم وقف عن تفسير قارعت دنها وخرج أمير المؤمنين من دار الخلوة ونحن في المنازعة فأمر بكتب رقعة الى ابي العباس احمد بن يحيى فورد الجواب مسندا عن أبي عمرو بن العلاء ان المعنى ضربت دنها بهذا العود فاذا ظن علمت اني قد شربت ما فيه وفرغته .

وعن الاصمعي ان المعنى اني غنيت ووقعت بعود الاراك على الدن فترنم أي رفع صوته، وأنشدنا أمير المؤمنين قول الحكمي وسألنا عن المعنى فيه

ياشقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم أنم
فاسقني البكر التي اختمرت بخمار الشيب في الرحم

فقال ابو احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر غناء الزبد الطافي على الشراب في رأس الدن فقال ابن حمدون يا أمير المؤمنين ان الشراب يطفو عليه في الدن شيء أبيض تسميه العرب القمحار فلعله أراد معناه

وقال ابن الطيب: عنى يا امير المؤمنين نسيج العنكبوت على الدن فقال لى ما تقول يا عبد الله فقلت الصواب لا يخرج عن أحد هذه الوجوه يا أمير المؤمنين فقال لنا قرأت بخط المأمون ان الكرم أول ما يجرى في عوده الماء يبدو فيه نقط فجعلها الحكمى قناعا من الشيب لبياضها وهى بعد فى ضمير القضيب وكتبناه باجمعنا عن المأمون . وقال الحكمي في الدن :

وشمطاء حل الدهر عنها بنجوة ... دلفت اليها فاستللت جنينها
كانا حلول بين اكناف روضة ... اذا ما سلبناها مع الليل طينها

وقال ابراهيم بن سيار

مازلت آخذ روح الدن فى لطف ... واستميح دما من بطن مجروح
حتى اثنيت ولى روحان في جسد ... والدن مطرح جسم بلا روح

وقال أبو العباس

راض نفسى حتى صبت ابليس ... وقديما قد طاوعته النفوس
كم أردت التقى فما تركتنى ... خندريس يديرها طاوس
أى حسن تخفى الدنان من الرا ... ح وحسن تبديه منها الكؤس

وقال ايضا

حيث لا تهتدى الهموم الينا ... ونظن السرور واللهو خلدا

بين نای ومزهر وصفا الصو ت بأوتاره الفصاح فادا
ودنان كمثل صف رجال قد أقيموا ليرقصوا دستبندا
وأباريق قد صغون الى المبزل والعلج يفصد الدن فصدا
وجعلنا الورد الجنى علينا مطرا والغمام عودا وندا

ماقيل فى اسماء الشراب

قالوا سميت الخمر خمراً لانها خمرت في انائها وكل ما غطيته فقد خمرته ومنه سمي الخمار لانه يغطى الرأس والخمر أيضاً كل ما استترت به من شجر او غيره ويقال بل سميت خمراً لمخامرتها العقل ويقال خامره سقم أى خالطه وسميت الشمول لانها تشمل على العقل ويقال سميت بذلك لانها شملتهم بريحها أى عمتهم كما يقال شملهم الامر وشملهم الخير أى عمهم . ومن اسمائها القرقف سميت بذلك لان صاحبها يقرقف اذا شربها فيقال أخذته قرقفة أى رعدة وأنشد :

نعم ضجيع الفتى اذا برد الليل — سحيرا وقرقف الصرد
زينها الله فى العيون كما — زين في عين والد ولد

ومن أسمائها العقار لانها عاقرت الدن اذا لزمته ويقال عاقر الزبد الشراب اذا لزمه وهو مكروه . ومن أسمائها القهوة لانها

تقهى عن الطعام يقال أقهى الرجل واقهم وهو رجل قهم اذا لم يشته الطعام وأنشد أبو عمرو للضبي يصف النساء :

فأصبحن قد أقهين عنه كما أبت حياض الامدان الهجان القوامح

القوامح والقامحة الرافعة الرؤوس .

ومن أسمائها الرحيق وهى صفرة الخمر والخندريس والخرطوم ومن ذلك السلاف وهو أول ما يسيل . ومن أسمائها الكميت والراح سميت بذلك لان صاحبها يراح من الغم اذا شربها يقال رحت فأنا أراح اذا خف للشناء وهش وأنشد الفراء لرجل من العرب:

وهلك الفتى الايراح الى الندى والا يرى شيئا عجيبا فيعجبا

وأنشد أيضا

ولقيت ما لقيت معد كلها وفقدت راحى فى الشباب وخالى

راحى أى ارتياحى وخالى أى اختيالى

ما جاء فى فصول التماثيل

في الابار يق

الابار يق توصف بنوعين مفردة ومزوجة فأول من جود في وصف المفرد ومثله بظبى على شرف علقمة بن عبدة وذلك قوله :

كأن إبريقهم ظبي على شرف مقدم من شبا الكتان مكموم

أبيض أبرزه للصبح راقبه مقلد قضب الريحان مفغوم

راقبه حارسه مفغوم مطيب . وقال أبو الهندى:

كأن أباريق المدام لديهم ظباء بأعلى الرقمتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رقابهم من اللين لم يخلق لهن عظام

ونحوه قول الآخر:

كان أباريق الشمول لديهم ظباء باعلى الطف عوج المناخر
بيوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وآخر في معناه:

اذ الاباريق حولى كانهن ظباء
مقدمات ملاء دموعهن طلاء

وأما الاباريق المتزاوجة بغيرها من الاوانى فاول من جود فيها وافتتح المعنى فيما تقدم من المعرفة به عنترة وذلك قوله

ولقد شربت من المدامة بعد ما ركد الهواجر بالمشوق المعلم
بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بازهر في الشمال مفدم

وقال الآخر

أفنى تلادى وما جمعت من نشب قرع القوارير أفواه الاباريق

وقال الاخطل

وكأس ندامى يعشق الشرب شخصها لهم منظر دون الزجاجة أسهل

قرنت بها الابريق فافترضاحكا وحل لها دون النقاب المقبل

وقال مسلم بن الوليد

يارب خدن قد قرعت جبينه بالكأس والابريق حتى مالا
انهضته من بعد ما أسكرته فمشى كأن برجله عقالا
ابريقنا سلب الغزال فؤاده وحكى المدير بمقلتيه غزالا
يسقيك باللحظات كأس صبابة ويعيدها من كفه جريالا

وقال أيضاً

وقامت بابريق وكاس روية فتاة رخيم الدل ذات شوى خذل
كان الثريا علقت في يسارها وبهرام في يمنى مبتلة طفل
كان فضول الكاس عرد مذاقها جلاجل شدت بالخمار الى حجل

وقال الحكمى

يا اخوتى ذا الصباح فاصطبحوا فقد تغنت اطياره الفصح
هبوا خذوها فقد شكانا الى — الابريق من طول نومنا القدح

وقال آخر

وفرفر ابريق حكى الجيم رأسه بكر صحاف الراح يتبعه السكر

وقال أبو العباس

ظلت أباريقنا خضرا ذوائبها صفرا حمالقها حمر الحلاقيم
روا كها كلما حف السقاة بها تلقى الكؤوس بتكبير وتعظيم

وقال ايضا

الامن لقلب في الهوى غير منته ... وفي الغي مطواع وفي الرشد مكره
أعاتبه في توبة فيقول لا ... فان قلت تأتى قينة قال أين هي
فياساقيانا اليوم عودا كامسنا ... بابريق راح في الزجاج مقهقه

ما قيل فى التماثيل

فى الكاسات والجامات

قال الحكمى .

تدور علينا الراح في عسجدية ... حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها ... مها تدريها بالقسى الفوارس
فللخمر مازرت عليه جيوبها ... والماء مادارت عليه القلانس

وقال أبو العباس :

قل لمن حيا وأحيي ... ميتاً يحسب حيا
ما الذى ضرك لو أبقيت ... لي في الكاس شيًا
أترانى كنت الا ... مثل من قبلَ فَنيًا

وقال أيضاً كاتب :

حلت بيني وبين عقلى بأرطا ... — لك والمحكمات من كل جام
ثم وكلت بي العسوف رشيقا ... فسقانى بالعنف صرف المدام
وسقاني حتى ظللت ببغدا ... — د وعقلى بجوب أرض الشام

وقال أبو العباس :

وجمّل آذريونة فوق أذنه كطافي عقيق في قرارتها مسك

ما قيل فى الكيزان والصوانى

قال الحكمى :

سبت ونوروز (١) والورد قد عل بمرماحوز

اشرب سقاك الله صرفا قهوة بالكاس والجامات بعد الكوز

وقال أبو العباس :

ويسراه مقرطقة بكوز ويمناه متوجة بكاس

وقال مسلم بن الوليد :

ولا ترى ضاحكا بشيء أحسن من ضحكة القناني

اذا تبسمن عن مدام كأنه ماء زعفران

فيحسر الليل عن دجاه وتطلع الشمس في الصوانى

ما قيل فى الاقداح والقناني

قال :

أغار عليها أغبر اللون اجوف فصارت له قلبا وصار لها صدرا

(١) في هذا الشطر نقص من أوله في الاصل

وقال أبو العباس :

خل الزمان اذا تقاعس أو جمح ... واسل الهموم الى المدامة والقدح
واحفظ فؤادك ان شربت ثلاثة ... واحذر عليه أن يطير من الفرح
هذا دواء للهموم مجرَّب ... فاقبل مشورة ناصح لك قد نصح
ودع الزمان فكم صديق حازم ... قد رام أصلاح الزمان فما صلح

قال اعرابى :

ومستطيل على الصهباء باكرها ... فى فتية باصطباح الراح حذاق
فكل شيء رآه خاله قدحا ... وكل شخص رآه ظنه الساقى

وقال الحكمي :

صبحتها فى جوف قنينة ... كالكوكب الدرى فى الحندس
تلك التى هام فؤادى بها ... لا زلت منهـا عامر المجلس

وقال أيضاً :

كأنى وقد علقت كفّى منها ... وما منها فى حربه للصبا سلم
مؤلف شاهين بيسرى بنانه ... وفي كفه اليمنى لشاهينه طعم

وقال أيضاً :

لولا غزال كغصن بان ... يجرى مع البدر فى عنان
ما جئت أسعى الى فقيـه ... مبـاعد الدار غير دان
أكتب من لفظه فصولا ... أغنيت عنهن بالقران

أنا بوصفي مفدَّمات من الاباريق والقناني
أحذق منى بأن أنادي حدثنى ثابت البناني

صفات السقاة

قال محمد بن رزين :

أصبت المدام بريق الغمام وقد زر جبب قميص الظلام
فشابت نواصي الدجى وانفرى عن الصبح سربال ليل التمام
حبوت بها صحن قارورة فأضحكتها عن لسان الضرام
يطوف علينا بها أحور كمول بعينيه ثقل المدام
غزال نسجنا له حلتين من الآس والورد فى يوم رام

وقال أيضا وهو النظام :

ومزنر قسم الاله مثاله نصفين من غصن ومن رمل
فاذا تأمل فى الزجاجة ظله جرحته لحظة مقلة الظل

وقال بعض خلفاء بنى أمية لرجل من جلسائه ما يطيب في يومنا هذا فقال قهوة صفراء . في زجاجة بيضاء . تناولنيها مقدودة هيفاء . مطمومة لفاء . دعجاء نجلاء . أشربها من كفها . وأمسح فمي بفمها . قال الحكمي :

تعاطيكها كف كان بنانها اذا استعرضتها العين صف مدارى

وقال أيضاً :

تسقيك من طرفها خمراً ومن يدها ... خمراً فما لك من سكرين من بد
لي سكرتان وللندمان واحدة ... شيء خصصت به من بينهم وحدي

وقال أبو العباس في معناه :

غدوت الى كاس ورحت الى كاس ... ولم أر فيما تشتهي النفس من باس
ومشتبه بالبدر في أعين الورى ... من الناس الا انه أملح الناس
سقاني خمراً من يديه وريقه ... فاسكرني سكرين من دون جلاسي
وكم من نديم سابق لي الى الكرى ... وكم من نديم قد سبقت الى الكاس

وقال أيضا :

وساق مطيع لاحبابه ... على الرقباء شديد الجُرَه
وفي عطفة الصدغ خال له ... كما استلب الصولجان الكره

وقال أيضا :

وساق يجعل المنديل منه ... مكان حمائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل داج ... كطرف أشهب ملقى الجلال
بكأس من زجاج فيه أسد ... فرائسهن ألباب الرجال
غلالة خده ورد جنى ... ونون الصدغ معجمة بخال
أقول وقد أخذت الكاس منه ... فدتك البيض ربات الحجال

وقال أيضاً

وطاف بالدن ساق وجهه قمر فشكه بسريع الحد مسنون
ذوطرة نظمت في عاج جبهته من شعره حلقاً سود الزرافين
كأن خط عذار شق عارضه ميدان آس على ورد ونسرين
مستودع ذيله معلاق منطقة تضم غصن نقا يهتز في لين
وخط فوق حجاب الدر شاربه بنصف صاد ودار الصدغ كالنون
كأنما ثبت المبزال راحته في نحر ظبي من الغزلان مطعون
لاأتقي بيد الندمان من يده ولو سقتني حولا قلت زيدني

ماقيل فى تحريم الشراب

قد جاءت الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أتى بجر فيه نبيذ فشمه ثم أمر به فكسر وقال هذا شراب من لايؤمن بالله واليوم الآخر . وجاءت عنه صلى الله عليه وسلم بهذا أحاديث

وروى حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال حرمت الخمرة بعينها والسكر من كل شراب .

وروى سفيان عن المفضل بن ابراهيم قال كان عمر رحمة الله عليه يجلد في قليل الخمر وكثيرها والسكر من كل شراب . وقد قال

قوم من أهل النظر السكر حرام وما كان دون سكر وبعيداً منه فما عليه حظر ولا حجر وأنشدوا

سألنا فقالوا كل ما كان مسكراً حرام نرى فيه العقوبة كالخمر
عليه جرى أعيان رهط محمد وأصحابه المستخلفون على الامر
فان كان هذا رأيهم فشرابها أحب الينا من معاقرة التمر

واحتجوا في ذلك ان عصير الشراب مادام حلواً حلال طلق فاذا دخلته النشوة التى تسكر حرم للسبب الداخل عليه أى على حلاوته وذلك السبب هو الذى يسكر ولهذا شواهد وأمثال يطول ذكرها .

ماقيل فى تحليل الشراب

حدثني على بن حرب الموصلى بحضرة المعتز بالله عن يحيى بن اليمان عن سعيد عن منصور عن خالد عن سعيد عن أبى مسعود الانصارى قال عطش رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت وهو شاك فدعا بشراب فأتى بنبيذ من نبيذ السقاية فلما شمه قطب فقال رجل أحرام هو يارسول الله قال ردوه فرد فدعا بماء من زمزم فصبه عليه ثم شربه وهو يطوف .

ولما طعن عمر بن الخطاب أتاه الطبيب فقال أى الاشربة

أحب الى أمير المؤمنين قالوا النبيذ فدعا بنبيذ فسقاه فخرج من جرحه فلم يعرض لعلاجه

وروى موسى بن طريف عن أبيه قال كنا ننبذ نبيذ الزبيب في الجر الابيض فنأتى به علياً فيشربه .

وروى عن نافع انه لما ختن عمر بن الخطاب بنين له دعا أناساً فسقاهم النبيذ بيده .

وروى عبدالعزيز بن مسلم عن يحيى بن عبدالله عن أم معبد مولاة قرظة بن كعب قالت كنت قينة لقرظة بن كعب وكنت أنبذ له النبيذ في الجر الابيض والدن المقير فيدعو عليه أصحابه منهم معاذ ابن جبل وزيد بن ثابت فيشربون وأغنيهم . وكان أبوحنيفة لايرى بالخليطين بأساً . وكان الاعمش يرى شرب النبيذ الا أنه كان يكره السرف فيه

وروى عن عمر بن الخطاب انه جلد رجلا شرب من شرابه بعد أن أفاق فقال أتجلدني على أني شربت من شرابك قال لا ولكني أجلدك على أن سكرت

وقال العطوي

جارة لى أجارها — الحسن من كل عائب
هي بين النساء كالبدر بين الكواكب

لحظها قبل لفظها من جليل المواهب
سألتنى هل النبيذ حلال لشارب
قلت أى والذى ير يك برغم الاقارب
اشربيه فان فيه لاحدى العجائب
ينبت الورد فى نقا ء خدود الكواعب
ويزيد الخلوف درأ — لأيدى الحوالب
فأجيبى بغير رأ — ى عن الحق عازب
هل حلال دماؤنا للظباء الربائب
قالت استفت غير خصمك فعل المداعب

وقال أيضاً

أعن المدامة عذرة مبسوطة برح الخفاء ولاحت الاسرار
ما للسلافة كالصبوح مطية لا سيما ان حنت الاوتار
دعنى وطيب العيش أرضع خلقه فالبؤس لا تقضى به الاوطار
آتي النبيذ وشاربيه على التى لا الغى يركبها ولا الاوزاز
لا اصطفى فيها مقالة مالك ويسرنى ما قال فيه ضرار
كل الشراب سوى العصير محلل ويحل إن هو غيرته النار

وكان سفيان يقول : اشرب من النبيذ أشده ويتمثل بقول رجل من الاعراب

واذا المعدة جاشت فارمها بالمنجنيق
بثلاث من نبيذ ليس بالحلو الرقيق

وقالوا القدح الذي تعلم انك تسكر منه فهو حرام عليك وقالوا حد السكر أن لا يعرف الشارب ثوبه ولا يهتدي الى منزله وان يمر بمهلكة يهوى فيها

وقال ابراهيم حد السكر أن يخلط فى الكلام وينعقد اللسان ويميل البدن فعند ذلك يحل للسلطان ضربه

وقال أبو يوسف السكر الذى الذى يجب فيه الحد أن لا يعرف الانسان سماء ولا أرضا

وقال الحكمي

ياصاحب الحانوت لاتك مشغبا ان الشراب محرم كمحلل
فدع التي نبذت يداك وعاطني لله درك من شراب الارجل

وقال رجل من التابعين

من رام تحريم ماء المزن خالطه في جوف آنية ماء العناقيد
إنى لاكره تشديد الرواة لنا فيها ويعجبنى قول ابن مسعود

ويروى تسديد الرواة بالسين وهو أصح في المعنى . قالوا وانما حرم النبيذ أهل الحرمين واطلقوا الغناء وأطلق فقهاء العرب

النبيذ وحرموا الغناء قالوا فنحن نأخذ من الامرين خصتى الفريقين حتى يجتمعوا على تحريمها. قال الشاعر :

إسقني ماتمج سحم الزقاق واقر سمعى ثوانى الحذاق
رأينا فى السماع رأى حجاز — ى وفى الشرب رأى أهل العراق

ويقال لاول الشرب العلل والثانى النهل . وقيل لبعض الاشراف لم لا تدع النبيذ فقال لا أدعه حتى يكون شر عملى .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النبيذ من المستضعفين في الارض يتركه من يتركه ويأتي ما هو شر منه

وقال المأمون

خوفتمانى الله ربكما وكخيفتيه رجاؤه عندى
ان كنتما لاتشربان معى خوف العقاب شربتها وحدى

التعويض من شرب ما أسكر

قد قلنا وقال الناس من قبلنا ان النبيذ يسخن المعدة والكبد ويهضم الطعام ويدر البول ويلين البطن وأن له مع هذه الخصال مسرة النفس وإطرابها وهذه الخصلة لايوجد فى شىء من الاشربة سواها فمن سنحت نفسه بها وسامحته في ترك منافعها خوفا من الاستكثار والطرب والتمس المنفعة فى الاشربة المركبة وجد عوضا من ذلك .

صفة شراب يسخن المعدة والكبد ويحط النفخ ويعين على الهضم وينفذ الغذاء — يؤخذ من عسل النحل رطلان ومن الماء ستة أرطال فيطبخ وقتا طويلا بنار لينة ورفق وتؤخذ رغوته حتى يصير له قوام كالجلاب ثم يؤخذ لكل رطل ما حصل من الزنجبيل والفلفل والدار فلفل والدار صيني والمصطكى من كل واحد درهم يدق ناعما ويجعل في خرقة قصب ضعيفة ثم يمرس في ذلك الشراب وهو حار مرساجيدا ويستعمل بمزاج كثير ومعتدل على مقدار الطبع ان شاء الله

صفة شراب آخر يلين البطن ويعين على الهضم — يؤخذ تين ابيض ويصب عليه عشرة ارطال ماء ويطبخ حتى يتهرى ثم يترك ليلة ويصفى الماء عنه ثم يلقى عليه مثل نصفه عسل ويطبخ بنار لينة حتى يصير له مثل قوام الجلاب ويرفع ويستعمل ان شاء الله .

وأنشدني أبو احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ان كنت تبت من الصهباء تشربها صرفا فما تبت من بر واحسان
بت راشدا أو اسقنا صرفا فان عذلوا فيما فعلت فقل ما تاب إخواني

﴿ صفة الخنديقون ﴾ النافع من برد المعدة وسوء الهضم وحمى الربع ووجع الجوف ويقوى الشيوخ — يؤخذ عسل منزوع

الرغوة ثلاثة أمناء كيلا وتلقى عليه شراباً صافيا جيد الجوهر وهو الاصل أو جمهوري عشرة أمناء ونصف كيلا وتصير فيه زنجبيلا وزن خمسة دراهم وقرنفلا وزن دانق ودار فلفل وزن دانق ونصف وزعفران غير مسحوق وزن درهم ويسحق سحقا جريشاً ماخلا الزعفران فانه يترك صحاحاً ثلاثة أيام في موضع دفيء ويحرك في كل يوم ثلاث مرات وبعد ذلك يصفى تصفية جيدة ويصير فيه من المسك المسحوق وزن دانق ونصف ويرفع في ظرف زجاج ويستعمل إن شاء الله

﴿ صفة شراب بقراطيس ﴾ الذي احفظ به أيام صحته من الامراض وهو نافع من ضعف الكبد والطحال وفساد المزاج البارد: يؤخذ سوسن جيد الجوهر تسع قراريط وبزر الرازياتج وفلفل من كل واحد وزن درهم وسليخة أربعة دراهم ومر وبزر الافسنتين من كل واحد وزن درهمين تجمع هذه الادوية مسحوقة وتصير في ظرف غضار أو زجاج ويصب عليها من الشراب الجيد وهو الاصل أو جمهوري أو نبيذ زبيب وعسل خمسة أقساط ويطين رأس الظرف بالحشيش ويترك أربعين يوما ويستعمل قبل الغذاء وبعد الغذاء إن شاء الله

﴿ صفة ماء العسل والسكر ﴾ النافع من الامراض الباردة ووجع الكبد والصدر — يؤخذ عسل جزء أو ماء جزأين ويطبخ بنار لينة ويلتقط ما يجتمع عليه من الرغوة حتى يبقى منه الثلث وينزل عن النار ويصفى ويستعمل وكذلك ماء السكر فان أراد مريد أن يسخنه ويقوى صير فيه بعد استخراج الرغوة مصطكي وزعفران أو غير ذلك إن شاء الله تعالى

قسمة الامزجة والاشربة

المختلفة الانواع ، وكم يحد لكل مزاج من الشراب

من كان مزاج بدنه مفرط الحرارة إما من قبل حرارته وإما من قبل سنه فان شرب الماء البارد أوفق له من شرب الشراب فان احتاج في حال من الحالات الى شرب شيء من الشراب فينبغى أن يسقى منه ما كان رقيقا فيه قبض معتدل وليس ينبغى أن يمنع من يحتاج الى الغذاء اللطيف من الشراب الحلو اذا كان صافياً صقيلا وكان لونه الى الصفرة أو الى الحمرة الناصعة فان كل شراب على هذه الصفة يتولد منه دم متوسط بين الغليظ واللطيف . قالوا وأوفق الاشربة للبدن الضعيف ولمن كان ناقها ما كان من الشراب حلواً لا سيما متى لم يكن في كبد المستعمل له أو طحاله آفة . قالوا

وأوفق الاشربة لمن قد اجتمع فى عروقه خلط غليظ الشراب الرقيق اللطيف فان كانت تلك الاخلاط مع غلظها باردة فأوفق الاشربة لصاحبها ما كان حاراً عتيقاً وان كانت تلك الاخلاط مع غلظها ليست باردة فان أوفق الاشياء لصاحبها ما لم يكن فيه من الشراب واحدة من هاتين

تقدير الشراب مع الطعام و بعده

قالوا لا ينبغى أن يشرب الشراب على الخلاء والجوع ولا على طعام حريف ولا بعقب جماع ولا بعقب حمام ولا قبل انحدار الطعام الا أن يكون لعلاج فالحد الجامع أن يشرب منه على الطعام مقداراً يسير في وسطه وفى آخره وبعد غسل يده . قال الحكمي

شرب النبيذ على الطعام ثلاثة فيها الشفاء وراحة الابدان
يمرى الطعام ويبتدي بمسرة ويهز كل مخدر كسلان

فمن ملك أمره وكان فى منزله محكما على نفسه فله أن يشرب بعد أن ينام نومة معتدلة تتمكن بها الطبيعة من هضم الطعام وله أن يشرب بعد أن ينتبه على ترتيب وان أحب الوصول الى الطرب زاد نفسه قليلا قليلا ليأخذ من السرور بحظه على تمهل وتمكن لان المبادر الى استعمال الاكثار من الشراب فى أول مجلسه متعرض

المضرة الآجلة والفضيحة العاجلة. وجملة القول فيمن لم يقف على حقيقة المنافع فيأخذها والمضار فيعدل عنها مطرح عنا إذ كان داخلا في طبقة العوام .

ما قيل في الصرف والممزوج

الصرف من الاشربة يحمي والممزوج يعدل والاختيار فيهما الى ذي المعرفة بمزاجه وسنه . قال مسلم بن الوليد

ورب يوم لهوت فيه بمسمعات من القيان
ورب كاس شربت صرفاً على سحاء من الاغانى
من كف ذي قرطق رخيم له على الخد وردتان
تعقده كيف شئت لينا كأنه عود خيزران
كأنه حامل الينا صقر عقيق بدستبان

وقد قالت الحكماء الشراب الصرف قوائم العقل على الاعضاء ينفيها عنها ولا يجذبها اليها وذلك لكراهة طعمها وبشاعتها وهو مع ذلك غير طيب ولا لذيذ من أجل ان الاعضاء لا تقبله ويقف في البطن فربما دفعه البطن بالقذف وربما دفعه بالاسهال وأكثر ما يعين على هضمه قلة كميته على انه قد قيل ان الخمر الصرف انما ينهضم في البدن البارد المزاج لسبب اسخانه وايقاظه الحرارة هناك .

قالوا وقد يولد الخمر الصرف تهوعا وربما ولدت ممزوجة لان التهوع يكون عن ضربين اما من شيء ملتصق بالمعدة مؤذ لها لذاع فتدفعه الطبيعة عنها بالخمر الصرف لما فيها من قوة الحرافه واللذع وربما حدث التهوع من قبل رطوبات كثيرة تغلب على المعدة فيسترخي عند ذلك البدن فيسكنه الخمر الصرف وتهيجه الخمر الممزوجة لان الصرف يجفف الرطوبات والممزوج من الشراب يزيد في حركتها وخروجها. وقد ذكرت من الاشربة التي تسكن أنواع التهوع في غير هذا الفصل مافيه مقنع .قال أبو القاسم عيسى

ملك جالس وكأس يدور ونعيم وغبطة وسرور
قد مضى الليل والعقول صحاح وزقا الديك والكلام كثير

وأما الممزوج المعتدل فعلى ضربين أحدهما معتدل والآخر مفرط فأما المزاج المعتدل فتقبله الاعضاء قبولا صالحا من جهة انكسار قوته وذهاب حدته وهذا المزاج لايحدث سدراً ولا دواراً لان حدوث السدر في وقت الشراب عند عدم الهضم . قال دعبل

لاتشرب الدهر صرفا فالصرف يورث حتفا
واجعل من الراح نصفا واجعل من الماء نصفا
فانهـــا بمزاج أشهى وأحلى وأشفى

وقال مسلم بن الوليد

طارت من المزج فارتاح الحباب بها فصار في مستسر النظم كالعقد
تنشف الماء حتى يستفيد لها وان علاها بتيار من الزبد
كأنها ولسان الماء يقلبها عقيقة ضحكت في عارض يقد
قهقه فيها انكباب الكوب فابتسمت درأ يضاحك أحبابا من البرد

وأما المزاج الظاهر في طعمه فان الاعضاء تجذبه وتقبله لانه غير كريه ولا بشع إلا أن الاعضاء لا يمكنها هضمه ولا احالته فتقلبه الى طبعها لانه لا تقوى عليه القوة التى تقلبه بها من جهة ظهور قوته عليها بل انها تهضم جزءاً بعد جزء ولاسيما ان كان قليلا .

قال الحكمي

غطت يد الماء ثوبيها فخسر عن جسم من النور في تمثال مبهوت
كأنما كتبت أيدى المزاج لها سطرين من لؤلؤ في رق ياقوت

وقال أيضاً

كأن بقايا ماعفا من حبابها تفاريق شيب في سواد عذار

وأخذ هذا المعنى من قول الفرزدق

تفاريق شيب فى السواد لوامع وما خير ليل ليس فيه نجوم

وقال الحكمي

كأن تآليف ما حاك المزاج لها سلخ تجللها من بطن رقشاء

وقال ابو العباس

كأن تأليف ما حاك المزاج لها ... أكارع النمل أو نقش الخواتيم

وقال أيضا

معتقة صاغ المزاج لرأسها ... أكاليل در ما لمنظومه سلك

جرت حركات الدهر بين سكونها ... فذابت كذوب التبر أخلصه السبك

وقال :

وليلة من حسنات الدهر ... ماينمحى موضعها من صدرى

جريت فيها بخيول شقر ... سياطها ماء السحاب الغر

قال أبو العباس وقالت الاطباء الماء مركب الغذاء ويقال أيضا انه يلطفه وانه يحمل منافع الشراب الى الاعضاء وليس شيء ألطف من الماء في الاغذية

قال بشار الضرير :

فبتنا كانا لوتراق زجاجة ... من الماء فيما بيننا لم تسرَّب

والاول أجود لان الماء ألطف من الشراب والثانى أظرف والدليل على أن الماء ألطف من الشراب قول الآخر :

يكاد فضيض الماء يخرج جلدها ... اذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد

وارحم خديها اذا ما رمقتها ... حذاراً عليها أن تؤثر فى الخد

حقوق المنادمة واحوالها

الحق فى منادمة النظراء هو وجه المناصفه وترك التحفظ وقد كان يقال ان من الادب تركك الادب عند من لا تحتشمه فأما منادمة العظماء فشرائطها أكثر من منافعها عند من عقل أمره وحصل فكره ولم أقصد فى كتابي هذا الى القول على حدود المنادمة فاني على حق الاستقصاء فيها الا انى أشير بيسير المعنى الى ما فيه مقنع لذي العقل ان شاء الله .

اذا وضعت الاشربة بين يدى ذى الرياسة سقى رأس المجلس قدحا فاذا شرب شرب الندماء بعده ويقوم من أراد القيام فمن جلس الى أن يستسقى رب المجلس ثانية فلا قيام له دون الثالثة. وقد مضت السنة الخاصية في أن يكون قيام القائم على وتر يكون له في المجلس الذى يخلف فيه بقية ينتظر بها الرجوع قالوا واذا استسقى رب المجلس ثالثة أمكن من القيام من أراد أن يقوم ولا يقوم بعد الثالثة الا من أمر بالقيام . قال متمم بن نويرة :

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن نتصدعا
فلما تفرقنا كاني وما لكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

هذا الخبر والشعر في مالك وعقيل حيث نادما جذيمة الابرش وكان لا ينادم احدا ذهابا بنفسه فلما رأي علمهما نادمهما وكان يحضرهما وقت شرابه فتنادما اربعين سنة فما اعادا عليه فيها حديثا.

وقال آخر فيهما

ألم تعلمي ان قد تفرق قبلنا ... نديما صفاء مالك وعقيل

وقال طرفة بن العبد :

نداماي بيض كالنجوم وقينة ... تروح علينا بين برد ومجسد

وقال الاعشى

في فتية كسيوف الهند قد علموا ... أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل

نازعتهم قضب الريحان متكئا ... وقهوة مرة راووقها خضل

لا يستفيقون منها وهي راهبة ... إلا بهات وإن علوا وإن نهلوا

وكتب الى احمد بن أبي العلا

أنا سيف علي العدا لك في الحرب ... وفي السلم فابتذلني وصني

ونديم ان لم يزرك نديم ... ومغن ان لم يزرك مغني

وقال الحكمي

سأبغي الغنا إما جليس خليفة ... يقوم سواء أو مخيف سبيل

كفى حزنا ان الجواد مقتر ... عليه ولا معروف عند بخيل

وقال رجل من قدماء الادباء في رجل نادمه

نبيذان في مجلس واحد ... لايثار مثر على مقتر
ولو كنت تفعل ذا في الطعام ... لزمت قياسك في المسكر
ولو كنت تملك شأو الكرام ... فعلت كفعل أبي البحتري
تتبع اخوانه في البلاد ... فأغنى المقل عن المكثر

وقال آخر

اذا أنت نادمت المغير وذا الندى ... جبيراً وأعطيت الزجاجة خالدا
أمنت باذن الله أن تقرع العصا ... وأن يوقظوا من نومة السكر راقدا
وصرت بحمد الله في خير فتية ... حسان الوجوه لاتخاف العرابدا

وقال دعبل

اذكر أباجعفر حقا أمرت به ... انى واياك مشغوفان بالادب
واننا قد رضعنا الكاس درتها ... والكاس حرمتها حظ من النسب

ادب الشرب

أخذ القدح وشمه والنظر فيه والمحادثة عليه والاصغاء الى الغناء وشربه قبل انقطاع الصوت على تمهل . قال ابو العباس وقد جرت السنة على أن يكون ساقي القوم آخرهم شرباً وذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه أيضا أن يجرى الساقي في الشراب على يمينه ولم يزل ذلك معروفا في العرب. قال الشاعر

صرفت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا
وماشر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصحبينا[1]

وبلغنا ان عبيدالله بن زياد الحارثى دعا يوما بقدح وعن يمينه محمد بن عمران الطلحي وعن يساره ابن عم له فشرب ثم ناول ابن عمه فجمع اليه محمد بن عمران فقال له مالك ياأباسليمان أظنك أردت السنة ان في صلة الرحم عوضا من ترك السنة

قالوا ويحتاج الشارب الى أن يقدر مايشربه على نفسه ان كان ذاعقل فقد جرت السنة الخاصية على أحوال مقتصدة بعضها قريب من بعض فقال قوم من خواص العلماء حظ النفس في شرب رطل واحد تأسيا بقول بعض المتقدمين

أرى غبما تؤلفه جنوب ويوشك أن سيأتينا بهطل
فحزم الرأى أن تدعو برطل فتشربه وتسقينا برطل

وقال قوم منهم المأمون بل حظ النفس فى شرب رطلين وقال في ذلك

رطلان لا أزداد فوقهما في الشرب ان حضروا وان وحدى
فليغتفر لى من ينادمنى انى أحب عواقب الرشد
وأريد مايقوى به بدنى وأجانب الامر الذى يردى

(١) كذا في الاصل والمعروف لا «تصبحينا»

فان احتج محتج بقول الحكمي

سألت أخي أباعيسى وجبريل له عقل
فقلت الكاس تقتلنى فقال كثيرها قتل
رأيت طبائع الانسان أربعة هي الاصل
فأربعة لأربعة لكل طبيعة رطل

قلنا له صدقت وفلحت ونحن على قولك الا أن هذه الاربعة منها رطلان شراب ورطلان ماء والى هذا ما ذهب المأمون . ونقول إن الاقداح الثلاثة التى امرنا بها على الطعام جزء من هذين الرطلين وما بقى فمقسوم على أجزاء النهار فهذا أدب أهل الاقتصاد وأما من تخطى هذه الشريطة الى السرف على نفسه وجسمه وعقله فانه قال الرطل الثالث أسر والرابع أحضر للذة والخامس أطرب والسادس أعجب الى أن يستأمن الى النوم الذي هو حياتك وأحد أقواتك .

الدعوات

قال رجل لامير المؤمنين علي بن أبي طالب ان رأيت ياأمير المؤمنين أن تجعل غذاءك عندى فقال علي رضى الله عنه على أنك لا تدخر عنى ما عندك ولا تتكلف لى ما ليس عندك . ومن كلامه رضى الله عنه: شر الاخوان ما تكلّف له.

وكتب رجل من الكتاب الى رجل : ان للقلب اليك حركة مزعجة والنفس بقربك ضنينة والشوق يقتضيها الانس بك والعين في وحشة لبعدك وسائر الاجزاء منا على حسب ذلك . فأجابه ألهبت قلبي بما وصفت فلمت قلبا لم يخل منك طرفة عين فمتى أشكر ابتداءك بما كنت أضمر ودعاك الى ما كنت أحب .

وكتب آخر: أنصف الله شوقنا اليك من جفائك بنا وأخذ لبرنا من تقصيرك فينا ان رأيت كما غممت فيما مضى أن تسر فيما بقى باتيانك فعلت .

وكتب آخر أقبل الله على اودائك باخائك ولا ابتلاهم بصدك وجفائك . وعوضهم قربك من بعدك . وأوشك ذلك وعجّله :

لنا سمك نكبيه[1] مشير ... وعند غلامنا جدى مبزر
وفروجان قد رعيا زمانا ... لباب البر في أبيات كسكر
وقدر لو تنسمها حصيف ... لايقن أنها مسك وعنبر
فكن لكتابنا هذا جوابا ... والا كان حكمك أن تشقر

* * *

يومنا يوم سرور فأتنا ... لا أراك الله سوءاً وأجب

(١) كذا في الاصل

فأجابه :

سرك الله وأبقاك لنا أنا في اثر كتابي وكتب

وكتب آخر :

نفسي فداؤك والدنيا بأجمعها وهل صلاح لدنيا لست راعيها

ماذا ترى في اجتماع من عشيتنا نرعى الرياض التي مازلت تحميها

وكتب الحسن بن خالد بن الضحاك في يوم شك وقد أمر المأمون بالافطار

هززتك للصبوح وقد نهانا أمير المؤمنين عن الصيام

وعندي من قيان المصر عشر يطيب بهم مصاخة المدام

ومن أمثالهن اذا انتشينا نرانا نجتني ثمر الغرام

فكن أنت الجواب فليس شيء أحب اليَّ من حذف الكلام

فنفذت هذه الابيات من الحسن بن رجاء الى الحسين بن الضحاك ووافاه من قبل محمد بن الحارث غلمان ثلاثة أقران ومعهم رقعة مختومة في أسفلها على هيئة المنشور وفيها

سر على اسم الله يا أشكل من غصن اللجين

في ثلاث من بني الرو م الى دار الحسين

فاشخص الكهل الى مو لاك يا قرة عيني

أره العرف ان استعصى — وطالبه بدين

ودع اللفظ وخاصمه بلفظ الحاجبين
واحذر الرجعة من — وجهك فى خفّي حنين

وكان في جواب الحسين بن الضحاك للحسن بن رجاء :

دعوت الى مماحكة الصيام بأعمال الملاهي والمدام
ولو سبق الرسول لكان سعى اليك ينوب عن طول الكلام
وما شوق اليك بدون شوقى الى ثمر التصابى والغرام
ولكن سار فى نفر الينا بمنشور حبيب المستهام
فازعجنى بألفاظ غلاظ وقد أعطيته طرفي زمام

ونحو هذا قول القاسم بن عيسى العجلى

أوائل الصوم مقرون بها الكمد ونية الصب في تركيبها أود
ولى مقامان مثلى من أقامهما ما حاز مثلهما عن والد ولد
تغدو الظباء على قلبي فتقتله ويتقينى اذا ناوشته الاسد
وقد دنا الصوم والايام طيبة والمدام على أمثالها رصد
فان فترت عن اللذات نازعنى منهم بمصطبح أو مطرب غرد
وكلنا نازخ عن قرب صاحبه حتى يؤلف فيما بيننا الصمد

وكنت أحسب أن قلمى إذا خلا من محادثتك سها ولا أنس لى الى الرسول وقد شغلت ذهنى بانتظارك وربما ذهب بعظيم الموقع كثرة التمتع .

فأجابه :

ربما عم المبتدي فابتدأ بالشكاية ظلماً لمن شكاه ولعله قد ظلم وأسا . وما زلنا نشكو منك مثلما وصفت منا. وكان في الصبر على ما نكره أمل لدرك ما نحب . وكتب آخر

يلومك القلب في الابطاء عنه . وتشكو النفس وحشتها منك اليك فمن يعديها اليك . فأجابه :

سبقت الى الدعوى فاشتبهت الحجة وبادرت الى القول فأخرجت الاعتذار ونحن نحكم عليك اذ كنا نعلم صحة نيتك ونعلم ما تنطوي عليه من ودّك

ودعا رجل رجلا فقال أطال الله بقاءك هذه بكر الزيارة وغرة العشرة . ولست آمن من وقوع التقصير في برك فان جرى شيء من ذلك فأنت أولى من تفضل ببسط العذر . فقال : حرصك على كرامتي يكفيك مؤنة التكلف .

استهداء الشراب

قال الطائي :

عندي غناء وألوان من الزهر والشرب مجتمع والورد منتثر
وليس يمنعنا الا النبيذ وما في ظرفنا منه الا الريح والاثر
فنحن مثل رحا الطحان أحضرها قمحا ليطحنه والقطب منكسر

ومثل قوس ونشاب يجمعها — الرامي وليس له في قوسه وتر
فاخرط لنا قطبا واقبل لنا وترا يامن يفضله في جوده البشر

وقال البحترى :

ما للمدام تأخرت عن فتية عزموا الصبوح واملوا جدوا كا
بكرت لهم سقيا الربيع وقصرت عنهم أوان تعلة سقياكا
ما كان صوب المزن يطمع قبلها فى ان يجيء نداه قبل ندا كا

وقرأت فى فصل من كتاب للجاحظ فى طلب الشراب : التاج بهى وهو على رأس الملك ابهى . والياقوت حسن وهو فى جيد المرأة أحسن . والشعر حسن وهو من فم قائله أحسن . والشراب حسن وهو من عندك أحسن . والهدية حسنة وهى من عندك أشرف

وقال البحترى :

فاسق من حيث كان يشرب كسرى عصبة كلهم ظماء حرار
من شراب تولت الشمس منه ما تولته من سواها النار
وعليك الاكثار اذ كان من شأن — الكثير المحاسن الاكثار

الصبوح والغبوق

قال على بن الجهم :

اذا ما اصطبحت وعندى كباب وكان الطباهج من جانب
وكانت رياحيننا غضة وصهباء من صنعة الراهب
فليس الخليفة فى ملكه بانعم منى ومن صاحبي

وكتب محمد بن عبد الله بن طاهر الى أخيه عبيد الله

يومنا طيب يلذ به القصف — وشرب الارطال والجامات
ما ترى البرق كيف يلمع فيه ورشوشاً تأتيك في الساعات
ولدينا ساق أغن أديب قد غنينا به عن القينات
ان تخلفت وقت ما تصل الر — قعة عنا فانت في الاموات

فأجابه عبد الله :

انا لو لم أدعَ تطفلت حتى أشتفي من حديث هذا الموانى
فاجعل الشرط بيننا لا تقل لى قد تثاقلت فانصرف بحياتى

وكتب محمد بن عبد الله الى عائشة بنت المعتصم يستهديها زيارة جارية لها كان يهواها

كتبت اليك ولم أحتشم وشوق المحبين لا ينكتم
صبوحي في السبت من عادتي على الرغم من أنف من قد رغم
وعيشي يتم بمن قد علمت فان غاب عن بصرى لم يتم
فجودى على بتعجيلها بتربة سيدك المعتصم

فوجهت بها اليه وكتبت معها رقعة فيها :

قرأت كتابك فيما زعمت وما ان لك القلب بالمتهم
فخذها اليك كما قد سألت ولا تشك شكوى امرىء قد ظلم
ولا تحبسنها لغير النهار كما يفعل الرجل المغتلم

وقال ابو العباس في ذم الصبوح

على الصبوح لعنة الرحمن فاسمع أخبرك ببعض شان
واسمع فاني للصبوح عائب عندى من اخباره عجائب
اذا أردت الشرب عند الفجر والنجم في لجة ليل يسرى
وكان بردا فالنديم يرتعد وريقه على الثنايا قد جمد
وللغلام ضجرة وهمهمه وشتمة فى صدره وجمجمه
يمشي بلا رجل من النعاس ويدفق الكاس على الجلاس
وان أحس من نديم صوتا قال مجيبا طعنا وموتا
فان يكن للقوم ساق يعشق فجفنه بجفنه مرنق
ورأسه كمثل حر قد مطر وصدغه كالصولجان المنكسر
أشغل عن مشوافه وزينته ولم يدر يبصر حسن صورته
فأى فضل للصبوح يعرف على الغبوق والظلام مسدف

وقال الحكمى في شرب الليل واحماده اياه

وندامى بيض الوجوه كرام وشباب أسهرت ليلا طويلا
غير هجن ولالمام ولا يعدم — منهم مفضلا بهلولا

ومما روى عن يزيد بن معاوية في شعره قوله :

وهبت النوم للنوا — م اشفاقا على عمرى
وأفنيت سواد الليل — باللذات والخمر

فما أعرف طعم النوم — الا ساعة السكر

ولبعض العرب :

ترك اللهو والنعيم فما يشرب — الا والليل داج بهيم
ولعمري لو شاء باكره الر — يحان والمسمعات والخرطوم

وقال الآخر :

اشرب الراح واسقنى فى الظلام ودع النوم للنيام اللئام
لا أحب اللذات الامع الليل اذا ما صدت عيون الانام
ان في الليل سترة لذوى اللب وفي الصبح آفة الاكتتام
فاسقنيها من قبل ان يطلع الفجر كميتا من الرحيق المدام

وقال آخر :

ودع للنوام النوم[1] انك ان تنم فانك فيه نصف عيشك تغبن
أليس من اللذات ان تطرد الكرى بعانقة في دنها تتلون
فان تسقنا نشرب وان تدعنا نجب الى ذات الحان تقول فتحسن
لنا كل يوم موتة ثم نشرة من الراح الا اننا ليس ندفن

وكتب يحيى بن خالد الى ابنه الفضل وكان بلغه عنه ما يكره له من تشاغله عن الاعمال

إنصب نهارا فى طلاب العلا واصبر على فقد لقاء الحبيب

(١) في الاصل ودع النوم للنوام الخ

حتى إذا الليل بدا مقبلا فاستترت فيه وجوه الغيوب
فباشر الليل بما تشتهي فانما الليل نهار الاريب
كم من فتى تحسبه ناسكا يكاشف الليل بأمر عجيب
غطى عليه الليل أستاره فبات فى لهو وعيش رطيب
ولذة الجاهل مكشوفة يرقبها كل عدو رقيب

ما قيل في النقل

اذا كان الشراب يحمي البدن والكبد فليكثر مزاجه وليتنقل عليه بالرمان الحامض المغسول بالماء المبرد فان غسل بماء الورد كان أنفع وأنجع والانقال بحماض الاترج ينفع أيضا من التلهب الحادث من الشراب

وينبغى أن يكون شراب من هذه حاله على الاطعمة الحامضة فاذا كان الشراب يهيج الصداع ويؤلم الرأس فليكثر مزاجه وليكن النقل عليه السفرجل وما شاكله وكل شيء له قبض . وينبغى لمن هذه حاله أن يقدم على الشراب طعاما خفيفا كالبوارد المتخذة بماء الحصرم وما أشبه ذلك واذا هاج فى البطن نفخ ووجع فليشرب شرابا قابضا مما له متانة وغلظ ولا يأكل بعد شربه شيئا

قال المأمون لجبريل بن بختيشوع ما أخف النقل قال قول أبي النواس يا أمير المؤمنين ،قال وما هو ،قال قوله

مالي في الناس كلهم مثل مالي خمر ونقلي القبل

وقال الحكمي أيضا في نحو من هذا

وكأس كمصباح الظلام شربتها على قبلة أو موعد بلقاء

وقال أبو العباس

جعلت فداك يا رجل ينم بمثل ذا عمل
نجيء فتستهين بنا وتتركنا وتشتغل
كتبت وفي يدي قدح فاكثر نقلنا القبل
وقد غنى على قدحي ثقيل بعده رمل
أتيتك عائذاً بك منك — لما ضاقت الحيل
وصيرني هواك وبي لحيني يضرب المثل
فان قتل الهوى رجلا فاني ذلك الرجل

وقال أيضا

يوم عليك مبارك ماشئت من لهو وطيب
فاشرب عقاراً نقلها تقبيل سالفة الحبيب

الانقال الرطبة

قال جالينوس فى التفاح والسفرجل والكمثرى والرمان: ان ما كان من هذه الفواكه قابضا فجوهره بارد أرضى وما كان منها حامضا فجوهره بارد الا أنه رقيق لطيف وما كان منها حلواً فجوهره متوسط الا أنه الى الحرارة أميل وما كان منها لا طعم له فهو الى البرد أميل قال وينبغى أن يستعمل القابض منها متى كانت المعدة قد ضعفت من حرارة مفرطة أو من رطوبة كثيرة فأما العفص فينبغي أن يستعمله متى كانت الحرارة والرطوبة قد أفرطتا افراطا شديداً وأما الحامض منها فينبغي أن يستعمله متى كان فى المعدة فضل غليظ ليس بالبارد وأما ما كان منها لا طعم له فلا خير فيه ولا منفعة من قبل أن يقوى المعدة ويحبس البطن المستطلق

قال وينبغى أن تحذر التفاح مع السفرجل متى كان فيهما قبض وان كانا كريمين في جنسهما وإذا كانا كذلك عسر انهضامهما وابطأ انحدارهما وولدا دما رديا وخلطا بارداً فاسداً الى الغلظ ما هو . وأما ما استحكم نضجه على شجره وخزن الى الشتاء والى الربيع فقد ينتفع به فى كثير من أحوال الصحة وأحوال المرض . واعلم أن للسفرجل شيئا يخصه دون التفاح لانه أشد قبضا وان ماءه له بقاء

فأما التفاح فلايكاد أن يبقى لكنه يحمض لان فيه رطوبة كثيرة باردة. ومن مليح ما قيل فى التفاح

وشادن زارنى وفى يده تفاحة ريحها به عبق
قد شاكلت طيبه بطيبتها فالطيب منها ومنه متفق
عاطيته قهوة معتقة شعاعها بالأكف يأتلق
فنام سكرا والنوم عادته وعادتى مذ هويته الأرق
لا يده تملك الرقاع ولا لسانه بالنكير ينطلق

وقال غير جالينوس فى الرمان والتفاح والكمثرى والسفرجل أما الرمان فما كان منه حامضا فهو بارد يابس وينفع من به خفقان كسائر الاشياء الحامضة وما كان منه حلواً فهو أشد تركيبا وليس يغذو غذاء كثيراً الا انه ينهض شهوة الطعام وماؤه يطلق البطن وحبه يعقله.

وأما السفرجل فهو من أصلح الاشياء لحبس البطن وانهاض الشهوة فى المعدة وليس هو بردىء للدرور البول وبعد السفرجل التفاح. وأما سائر التفاح فليس بسريع الانهضام

وأما الكمثرى فما تولد في البدن منه أحمد مما يتولد من التفاح ولا يكاد يفسد في المعدة وهو أيضا أسرع انهضاما وكذلك السفرجل لايكاد يفسد في المعدة من المريض فضلا عن الصحيح وإذا

نضج كان أسرع انهضاما وانضاجه يكون على ضربين أحدهما أن يقشر وينقى من حبه وينقع في شراب ممزوج ويغسل والآخر أن يخرج حبه ويلقى مكانه عسلا ثم يطبق ويلبس عجينا ويدفن في دقاق جمر لين حتى يحترق العجين ثم يقلع عنه ويؤخذ عند ذلك السفرجل وقد نضج ومازجه العسل

الانقال اليابسة

قال جالينوس ان الذى يصل الى البدن من الجوز والبندق ليس بكبير الا ان البندق على حال أغذى من الجوز وذلك لان جرمه أشد تلذذاً وكثافة وأقل دهنا والغالب عليه الجوهر البارد الارضي وكذلك القبض فيه أكثر

وأما جوهر الجوز فرخو وهو كثير الدهن وفيه قبض يسير ما دام رطبا فاذا تمادى به الزمان بطل القبض واستحال جوهره كله الى اللطافة والدسم فلذلك يسرع الى الاستحالة مع الانقلاب الى المرارة والصفراء فاذا عتق الجوز بلغ من استحالته الى هذه الطبيعة التى وصفت أن تخرج عن حد ما يؤكل لان الدسم الذى فيه يزنخ فيصير بمنزلة زيت العتيق

وقال فى الجوز الطرى انه ليس فيه طعم قابض بين ولاطعمه دسم لكنه كأنه لاطعم له والجوز أسرع انهضاماً من البندق وأوفق منه للمعدة لاسيما اذا كان مع التين اليابس ولاسيما اذا أخذ مثل الطعام وقد وصف كثير من الاطباء أمر الجوز والبندق وذكروا انهما اذا أكلا مثل الطعام مع السنداب لم يضر الاكل لهما شيء من الادوية القتالة كبير ضرر. والجوز الرطب أوفق لتليين الطبيعة وكثير من الناس يأكل الجوز مع المرى قبل الطعام وبعده على جهة الانتقال به وأوفق الجوز لهذا الطري واليابس أيضا اذا نقع بالماء صارت قوته شبيهة بالطري .

فأما اللوز فان جالينوس يذكر انه ليس فيه قبض بتة لكن منه مافيه مرارة خفية وما كان منه كذلك فله جلاء وتلطيف وبهذه القوة ينقي الاحشاء ويعين على نفث الرطوبة من الرئة والصدر . ومنه ماقد بلغ من غلبة القوة القطاعة عليه للرطوبة الغليظة اللزجة حتى انه لايؤكل لمرارته ولن يخلو هذا الصنف منه من الدسم الدهنى وربما صلح في بعض الاحايين ليعين على جلاء الرطوبات . وأما الفستق فهو جيد للمعدة وهو ينفع من نهش الهوام . وأما حب الصنوبر فانه يولد دما محموداً إلا أنه غليظ وهو كثير الغذاء بطيء الانهضام ومن شأنه أن يصير المواضع الخشنة ناعمة ملساء لاسيما ان نقع في

الماء حتى تذهب حدته فان مايبقى منه بعد ذلك يصير ليناً لايدع فيه ويصير متوسطاً بين الحرارة والبرودة .

وأما العناب فهو عند جالينوس غير قوى الفعل فى صحة ولامرض وكذلك قوله في الخروب الشامى اذا كان صلبا

المشام

أما المشام الممسكة والتى تعمل من المسك فانها حارة يابسة تولد على المحرورين أنواع الصداع في أسرع الاوقات وتنفع من العلل الباردة العارضة في الرأس وهو مع ذلك جيد للغشى صالح لتقوية المعدة .

وأما مايعمل من المشام المعنبرة أو من العنبر الخالص فانها تقوي الدماغ والقلب والنفس وسائر الاعضاء الشريفة . وأما الكافور المعمول في تصاوير التماثيل فانه لطيف ينفع من أنواع الصداع والامراض الحارة الحادثة في الرأس وجميع البدن والاكثار من شمه يسهر وان سرى برد الانثيين وجمد المنى وجلب أمراضاً باردة في هذه النواحي .

وأما الصندل فهو بارد يابس جيد للامراض الحارة اذا شم أو طلى به في الحمام أورث حكة

وأما البنك فى المشام البنكية التى تعمل منه فخاصيته كمرته فيه وله مع ذلك فعل قوى فى قطع ريح العرق الردى

وأما تماثيل العود فخارة يابسة وهو يقوى النفس ويزيد في الذكاء وهو جيد للمعدة اللنفة إن تنقل به على الشراب . وأما الزعفران وسائر ما يعمل منه فانه حار يابس معني مبدع يثقل الرأس ويجلب النوم

سبب وجود السكر

السكر يكون من وجهين إما عن التهاب الحرارة الغريزية التى في الدماغ فتوافقها حرارة الخمر ويحدث السكر وإما لضعف الحرارة الغريزية التى فى الدماغ فتعرفها[1] الرطوبات المتولدة عن شرب الخمر وتحدث عند ذلك السكر . فأما من كان دماغه حاراً وكان سكره من قبل حرارة دماغه وحرارة الخمر فيعتريه الافراط في الارق وكثرة الكلام . وأما من كان بالصفة الاخرى من رطوبة الدماغ وبرده فيعتريه السبات. ولرجل في ذم السكر

إنما اللذات بالعقل فمـا ساسه العقل هنـا ثم نفع
فاذا ما ذهب العقـل فان شئت فاشربه وإن شئت فدع

(١) كذا في الاصل ولعل الصواب « فتعتريها »

اختلاف افعال الاقداح
في السكر

قال أبو العباس يؤكد ما قلت في الباب الذى قبل هذا أن من كان بارد الدماغ وشرب بأقداح كبار شرابا متدار كا سكر سريعا لان قوة دماغه اليسيرة تعرق لسبب كثرة الشرب وهو متى شرب أقداحاً صغاراً ثبتت حرارته على حالها لان الشرب اذا كان قليلا استمكنت الحرارة وان كانت قليلة وقويت على أن تنضج الشراب. فأما الذين حرارتهم قوية فان شربوا بأقداح صغار ترقى من الشراب الى رؤسهم بخار كثير فان شربوا بأقداح كبار كان ما يترقى من الشراب الى رؤسهم أقل لان الحرارة لا يمكنها تحليل الشراب الكثير كما يمكنها فى اليسير

تباين حركات الابدان
فى السكر

اعلم أن من كانت الرطوبة أغلب على دماغه وشرب الشراب معتدلا كان نومه معتدلا بمنزلة النوم الذى يكون بعد تناول الطعام ومن غلبت على دماغه الحرارة بافراط فى شرب الشراب الحاد حدث

له الارق. قالوا ومن شأن البدن في وقت السكر ان يتحرك حركة مضطربة ويثقل اللسان ويضطرب ومع ذلك فان النفس الناطقة تضطرب على البدن فى وقت السكر وخاص آلات النفس وأخص الناطقة اللسان ولذلك صار اذا قبل الالم بقبول النفس الناطقة له تلجلج فى الكلام وذلك أن ابتداء الكلام من النفس الناطقة والدليل على ذلك أن النفس الناطقة اذا ألمت من غير سكر شاركها هو أيضا في الالم الذى يعرض عند الجزع والفزع

قالوا ومن عادة السكران تكثير دموعه لان الدماغ اذا سخن ترطب لكثرة البخار الذى يتراقى اليه من الخمر ولذلك حكموا على دماغ السكران أنه بمنزلة دماغ الطفل في فقدان العقل والقوة وقالوا الدماغ الضعيف اكثر حركة من القوى وكذلك الحار اكثر حركة من البارد

ارتعاش السكران

قالوا :من شأن السكر أن يسىء الهضم وفساد الهضم أن يولد فى البدن رطوبات تحدث الرطوبات . قال أبو نواس

أرعشتنى الخمر من ادمانها ولقد أرعشت من غير كبر

وقال أيضا

هات باليسرى فقد عجزت راحتى اليمنى عن القدح

أرعشتها بعد شدتها سطوة الابريق للصبح

وقال قوم الارتعاش انما يكون من ضعف الحرارة الغريزية المغذية للابدان بفرط يبسها وجمع المواد الردية بقوتها وضعوبة فعلها فلهذين السببين اذا ضعفت الحرارة الغريزية تحدث في الابدان الرعدة . وقال أبو العباس

أتاك الربيع بصوب البكر وخف على الجسم برد السحر
ورقت على المرء أثوابه اذا راح فى حاجة أو بكر
ونفرت الارض عن جوهر فمنتظم منه أو منتثر
وقد عدل الدهر شرابه فما فيه حر وما فيه قر
وركب طرقتهم والصباح عن وكره واقع لم يطر

اختلاف الطعوم

في فم السكران

ربما وجد السكران ملوحة في الماء لا يجدها إذا صحا وذلك اذا كان قوى الحس وهذا يكون من سوء الكيموسات التى تكون في بدنه لان الحس انما يكون ليتألم تألم المحسوس وما كان شبيها بالشيء لم يؤلمه فاذا كان ضد ذلك الشيء أحدث فيه الألم. والذين إذا امتلأوا من شرب الخمر تصفو منهم تلك الكيموسات وتصير حسية

المزاج لطيفة على سائر الاعضاء. فمن أجل ذلك يكون حسهم ما كان مالحا أو ردى الكيفية فاما إذا ذهب عنهم السكر فانهم يرجعون الى طعم تلك الكيموسات الاولى التى في أبدانهم عتيدة أو يرجعون إلى أكثر منها في الفساد والعفن. قالوا وربما اختلف الشراب فشرب الرجل خمرا صلبة وأردفها بخمر حلوة ليضعف سكره لان هذه الاشياء لما معها من الغلظ تمنع قوة الخمر من التصعد الى الدماغ بسرعة وذلك كالاخبصة وما أشبهها

قالوا وربما شرب الانسان خمراً حلوة بعد سكره فرجع اليه عقله وأفاق وانهضمت الخمر الاولى لان الخمر الحلوة إذا صادفت الخمر الحريفة عدلتها لان الحلاوة تستوى بالخمر المتقدمة بسبب القبض والحرافة التى مع تلك الخمر الأولى.

نظر السكران

السكران ربما رأى الاشياء مستديرة لان البخار يرتفع من شرب الخمر فيصعد إلى الدماغ بحدة وقوة ويحتبس في حجبه ويزول أمر هذه البخارات الى أن تدور في بطون الدماغ وهى مستديرة فتقلل حركة الروح الباصرة إلى الاستدارة فاذا استدار الروح الباصر صارت الاشكال المنظور اليها كهيئته ولان صورة الحدقة

أيضاً مستديرة الشكل وربما رأى السكران الشيء الواحد أشياء كثيرة لأن النظر انما يكون مستويا إذا استقبل الشعاع الباصر الاشياء المنظور اليها كمية واحدة واستواء فاما إذا اضطربت حركته بسبب السكر العارض وتكاثف البخار المتولد من الخمر تغير ذلك الشعاع وحال إلى معان كثيرة مختلفة فرأى الاشياء مختلفة متفرقة وان كانت قليلة

اوصاف فضائل السكر

لا فضيلة أعلمها في السكر سوى فقدان الهموم وذلك عندي لا يفى بفقدان العقل وفيه مع ذلك فضيلة خفية نافعة من جسارة المتيمين على مباوحة أحبائهم بما في ضمائرهم . قال العباس بن الاحنف:

أظن سأبدى عند أول نظرة اليها هواها فى خفاء وفي ستر
فان رضيت كان الرضا سبب الهوى
وان غضبت منه أحلت على السكر

وقال الحكمى :

يا منة امتنها السكر ما ينقضى منى لها الشكر
اعطتك فوق مناك من قبل قد كان قيل مرامها وعر
ترمي اليك بها سوالفه رشأ صناعة عينه السحر
ظلت حميا الكاس تبسطنا حتى تهتك بيننا الستر
في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر

وقال آخر :

فرقا بيني وبين الهـــم بالراح الشمول
واسقياني قبل ان يفـــضحني لوم العذول
مال بي عن طاعة الغي إلى السكر الطويل
ماأرى من غضب الدنيا على أهل العقول

وقال ابو العباس :

لا تبك للظاعنين والعيس ومنزل ظل غير مأنوس
واشرب عقارا قد عتقت حقبا في خزمى بالوشم محروس
تخرج من دنها اذا بزلت مثل هلال بدا بتقويس
والنجم قد لج في الغروب كما أنذر بالصبح قرع ناقوس
تعال يامبتغي الكنوز الى در وتبر في الدن مغروس
تصبح غنيا من السرور ومن عقلك تمسي من المفاليس
من لامني في المدام فهو كمن يكتب بالماء في القراطيس

الارشاد الى استدعاء السكر

أعون الاشياء على السكر السماع المرتفع فان لم يحضر فالنظر الي الزرع والزهر وها هنا أدوية يسكر منها :

﴿ دواء ﴾ صفته يؤخذ من الميويزج ومن الافيون أجزاء

سواء زنة نصف درهم جوز بوا ومسك وعود من كل واحد زنة قيراط يدق وينخل ويتخذ أقراصا فاذا احتيج إلى ان يقوى الشراب على الاسكار دقت واحدة وطرحت فيه فانه يسكر سكرا قويا شديداً

﴿ دواء آخر ﴾ يطبخ بنج اسود وقشور الميويزج في الماء حتى يحمر ثم يمزج به الشراب .

﴿ دواء آخر ﴾ يمزج النبيذ بماء الشيلم او بماء الاشنة أو ينقع فيه قطعة من العود الهندى

﴿ دواء آخر ﴾ يؤخذ ميعة وافيون وبنج من كل واحد دانق ، ومسك وقرنفل من كل واحد قيراط ويطبخ في الشراب ان شاء الله تعالى

ذم السكر

وما قيل فيه من الشعر

نظر عبد الملك بن مروان إلى خالد بن اسيد وبوجهه آثار فقال ما هذا قال ركبت فرسا لى أشقر فصدم بى الحائط فقال له أما انك لو ركبت الاشهب لسلمت وتمثل :

رأتني صريع الخمر يوما فسؤتها وللشار بيها المدمنيها مصارع

وناول سليمان بن عبد الملك نصيبا قدحا فقال له : يا أمير المؤمنين انما وصلت اليك بعقلي فان رأيت ان لا تفرق بيني وبينه

وقال الرشيد يوما للاصمعي وهو على الشراب والله يا أصمعي ما أشربها لاستنهاض اللذة ولا لمطلب سكر أما اللذة فاحمد مغارسها ما آب منها صاحبها سليما وأما السكر فاي هم أوضع ورأى أنقض من مطالبة ما يهتك به الستر ولكني رأيتها مؤلفة بين الاخوان

وقال امرؤ القيس :

لعمرك ما ان ضرني وسط حمير وأقوالها غير الخيلة والسكر

وقال طرفة بن العبد

ومازال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي واتلافي طريفي ومتلدي

الى أن تحافتني العشيرة كلها وأفردت افراد البعير المعبد

ورأيت العلماء لايعتدون بالسخاء المتولد عن السكر ورأيتهم يذمون قول طرفة

أسد غيل فاذا ماشربوا وهبوا كل جواد وطمر

ثم راحوا عبق المسك بهم يلحقون الارض هداب الازر

قالوا فشرط ذلك على نفسه في السكر ولم يشرط في الصحو قالوا وأشعر منه زهير في قوله

فاعرضن منه عن كريم مرزأ جموع على الامر الذي هو فاعله
أخي ثقة لايذهب الخمر ماله ولكنه قد ينهب المال نائله
تراه اذا ماجئته متهللا كانك تعطيه الذي أنت سائله

وقال عنترة

واذا سكرت فانني مستهلك مالي، وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

ومن ههنا قال البحتري والحكمي فأما قول الحكمي فهو في الفضل بن يحيى

أخي ثقة لايذهب الخمر ماله ولكن عطايا عود وبوادي

وأما قول البحتري فهو

ومازلت خلا للندامى اذا انتشوا وراحوا بدورا يستحقون أنجما
تكرمت من قبل الكؤس عليهم فما استطعن أن يحدثن فيك تكرما

دفع السكر عن جوهر العقل

من أحب أن لايسكر سريعا وان يزداد من الشراب فلاينبغي أن يتملأ يومه ذلك من الطعام جداً ولايأكل حلوا وليتحس اسفيذباجا دسما ويأكل ثريدة لينة دسمة من اللحم المجزع أكلا معتدلا ولايكون قد تعب يومه ذلك قبل غذائه بل يكون قريب

العهد بالنوم ولايكون قريب عهد بطعام قد أثقله. هذا اختيار الاطباء فأما العرب فان شاعرهم يقول

اذا لم تكن قبل النبيذ ثريدة ملبقة صفراء شحم جميعها
فان النبيذ الصرف ان ريق وحده على غير شيء اوجع الكبد جوعها

ومن الاشياء النافعة من ألم السكر استعمال الادهان اللذيذة في الاطعمة الدسمة لان الدسم في طبيعته وفعله يلين ويغرى فاعتداله مما يسكن قوة الخمر وحدتها واغراؤه يمنع من اللدغ ومما يعين على الاستكثار من الشرب الكرعية والقنبيطية والعدسية والريباس وكذلك السفرجل مع سائر الاشياء المملحة

﴿ دواء يبطىء بالسكر ﴾ يؤخذ بزر الكرنب النبطى وكمون ولوز مر وفوتنج وملح نفطى وافسنتين وسنداب يابس وناتحواه أجزاء سواء ويشرب منه وزن درهمين بماء بارد على الريق اذا لم تكن حرارة وحدة فاذا كانت حرارة وحدة فلايشرب . ومما يخفف عن السكران ويعجل صحوه ان يسقى ماء وجلاباً مرارا متواترة أو يسقى ماء قد ديف فيه المصل او رائبا شديد الحموضة ويصب على رأسه خل خمر ودهن ورد ويشم الكافور وماء الورد وان كان في معدته شراب فليتقيأ ويضع اطرافه في الماء الحار ويدلك بالملح ويطعم لقما بماء الحصرم والعدس والكرنب والقنبيط .

ما قيل فى العربدة

العربدة لا تكون ممن قد بلغ منه السكر ولا ممن لم يشرب لكن ممن قد شرب وسكر بعض السكر وذلك لان من قد سكر بعض السكر ليس هو في حد من عقله ثابت ولا فى حد من قد بلغ من سكره أن يطلب معرفته فمن كان عقله ثابتاً فحكمه فيما يحكم به يجرى على الصواب ومن قد بلغ منه السكر كان لا يروم الحركة في شيء من الاشياء .

وأما الذى قد سكر بعض السكر فتجده يحكم في الاشياء لان السكر لم يغلب عليه غير أن حكمه فيها حكما رديا وذلك أن عقله ليس بالثابت ولا بالصحيح ولهذا تجده يتخيل أشياء على غير ماهي عليه بالحقيقة فيستخف ببعض الناس ويرى انه قد استخف به فيعربد عليه . وأنشد

ومعربد أخرجته لما تعرض للندامى
أغلقت بابي دونه وتركته يرعى الخزامى

وأنشد :

لا تقعدن وجعفراً فى مجلس الا وعندك من دم الاخوين

ريحانه بدم الشجاع مضمخ وتحيـة الندمان لطم العين

وأنشـــد :

مثل لون الفصوص ينفى قذاها قد تمززتها بماء السحاب
زعم الزاعمون ان قذاها ليس بالعود ساقطا والذباب
بل قذاها نديم سوء عليها مولع بالمرا وطول السباب

وقال آخر :

ما قذى الكأس بالذباب ولا العـــود ولكنه قذاها اللئـام
من إذا ذاقها فمن سوسه البخل — عليها ومن هواه اللطام

الاعتذار من السكر

كتب رجل من الكتاب

لا ذنب لي الذنب للخمر كان الذي كان على السكر
شربتها صرفا وممزوجة فوسوس الشيطان في صدري

وقال آخر :

ارض عنى يا ايها الغضبان واقلنى افالك الرحمن
زل بى السكر زلة لم أردها ربما زلها الفتى السكران

وقال أبو نواس

فلما توفى الصبح جنحاً من الدجى تصابيت واستحسنت غير جميل
وأنزلت حاجاتي بحقو مساعد وان كان أدنى صاحب ودخيل

وقال آخر

أين ماجاء من حديث رسول — الله مولاي سيد الاسلام
ماعلى مثقل من السكر والنو — م جناح فيما أتى من اثام
ثم أين الذى به حكم المأمون ذوالظرف قيم الاسلام
أيما ماجد أراد سروراً باجتماع من سادة للمدام
فعليه رفع البساط[1] بما أخر — جه السكر من شنيع الكلام

الخمار وعلاجه

الخمار يعرض لمن يمزج شرابه اكثر مما يعرض لمن يشرب الصرف لان قبول الرأس للخمر الممزوجة أكثر والسبب في ذلك ان البخار الذى يترقى اليه منها ألذ وكذلك قبول الاعضاء لما كان الذ قبولا سهلا وما كان أعسر فهو يشبع فلذلك صار الرأس ثقيلا من بخار الخمر الممزوجة أكثر مما يقبل من بخار الخمر الصرف

والبخار أيضاً يكون من الخمر الممزوجة لسبب ما يخالطها من رطوبة الماء . وأما الخمر الصرف فلانها أبشع لا يسهل قبول الرأس لها

(١) في الاصل « السياط »

والبخار الكثير اذا كثر على الرأس لم يسرع نضجه فيعرض منه الخمار واذا كان البخار يسيراً أنضجه الرأس فلم يعرض منه الخمار

وقد زعم قوم ان الكرنب يذهب الخمار وذلك لان عصارته فيها جلاء وقوة قابضة ولذلك استعملت الاطباء عصارته في المواضع التي يريدون غسلها والدليل على قبضه استعمال الاطباء له معلوقاً عند الاسهال المفرط فلذلك صار نافعاً للسدد والخمار للجلاء الذي في عصارته والتحليل للفضول الباقية في البدن من بقايا شرب الخمر المتقدم بالاسهال النزر فلجهة مايحدر من هذه الفضول الى أسفل يقل صعود بخارها الى فوق ويضعف الخمار . وقد قيل ان الخمار أشد من السكر لان البدن يجذب ما في الخمر من اللطافة ويبقى كدرها غير منهضم لغلظه في البطن فيحدث منه الخمار حتى ربما صار ذلك الفضل الباقي قابضا

وقالوا أيضا يكون الخمار أشد من السكر لان التعب من الطبيعة يكون قد تقدم في هضم الشراب بالأمس فتبقى الطبيعة ضجرة تعبة فمن أجل ذلك يحس سريعا بالخمار المؤذى . وقال قوم العلة في ان الخمار أشد من السكر ان العقل والفهم يرجعان الى الانسان فيكون حسه بالأذى أقوى والخمار أشد وينبغي للمخمور أن ينام نوما طويلا ثم يدخل الى الحمام ويقعد في موضع معتدل ويصب على رأسه ماء فاتراً كثيراً ممزوجا ويكون غذاؤه ما لطف

من الحصرمية بلحوم الفراريج وكالهريس والهلام ونحو ذلك وينام ثانية فان كان يجد صداعا فليضع على رأسه خل خمر ودهن ورد مبرد أو يعاود النوم فان أبطأ سكون ذلك عنه فليشرب شرابا يسيراً بمزاج يسير .

ومما يقطع الخمار كثره الكلام والمشى اليسير الرفيق وتنشق دهن البنفسج ودهن الخلاف والورد والكافور مع ماء الورد .

﴿ دواء للخمار ﴾ بزر الهندبا وبزر كرنب وبر باريس منقى من حبه وعدس مقشر وورد وشيء من طباشير يشرب منه وزن ثلاثة دراهم مع قيراط كافور بأوقية من رب الحماض المعمول من الاترج أو ماء الرمان الحامض أو ماء الرياس .

﴿ دواء آخر للخمار ﴾ يسف ثلاث سفات من كزبرة يابسة مدقوقة مع مثلها سكر ومن جيد الاشربة التى تقطع الخمار رب الحصرم ورب الحماض الاترجي ورب الرياس .

تم الكتاب بحمد الله الملك التواب

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد

الاحباب وعلى جميع آله

وسائر الاصحاب

فهرست

فصول التماثيل

في

تباشير السرور

تأليف

أمير المؤمنين أبي العباس عبد الله بن المعتز

صفحة

٢ مقدمة الكتاب وبيان مباحثه وفصوله

٨ ما قيل في الاعناب والكروم وتمثيلها في شعر العرب

١٠ ما قيل في فضائل الشراب : من نظم ونثر

١٢ خاصية الشراب وما جاء فيها من التماثيل

١٤ العلامات المحيطة بافعال الشراب من اسخان البدن اذا استعمل على اعتدال وترتيب ، وغير ذلك

صفحة

١٥ القول على شريف جوهر الشراب وفيه كلمات لبعض الخلفاء في خير الاشربة

١٧ القول على لطيف نسيم الشراب ورائحته والتماثيل الواردة في أوصاف العرب بهذا المعنى

١٩ القول على ظريف حركة الشراب وسبب حصولها وما جاء في المسكر وفعله في النفس

٢٣ الحدود الجامعة لاحوال الشراب وهي ثلاثة الخ

٢٣ القول على الشراب الحديث . والنهي عن الاكثار من شربه .

٢٤ القول على الشراب المتوسط وتعريفه أنه ما كان بين الحديث والمعتق .

٢٥ القول على الشراب العتيق والتحذير منه لاضراره بالعصب ومدح الشعراء له

٢٦ قسمة ألوان الشراب وهي أربعة الاحمر والاصفر والابيض والاسود . وشيء مما قيل في كل منها

٢٧ القول على الشراب الاحمر ورأى حالينوس فيه

صفحة

٢٧ التماثيل الواردة من الشعر في الشراب الاحمر وتشبيهه بدماء الظباء .

٢٩ القول على الشراب الاصفر وصفة ما يضرب الى الحلاوة منه وتأثيره فى شاربه

٣٠ التماثيل الواردة من الشعر في الشراب الاصفر وتمثيل العرب له في أشعارها بتوقد الكوكب وصفرة الذهب وتضرم اللهب .

٣٦ القول على الشراب الابيض وما قالت الاطباء فيه

٣٧ فصول التماثيل في الابيض وتشبيهه بتألق الانوار وضوء النهار ونقاء الماء ، شعراً ونثراً

٤٠ القول على الشراب الاسود ورأى جالينوس في أنواعه

٤١ فصول التماثيل في الشراب الاسود ، وفيه إعراض العرب عنه واكتفاؤها بتمثيله بسواد الغراب وحبر الكتاب

٤٢ الابانة عن اختيارات القدماء للاشربة

٤٣ الابانة عن السبب فى اختلاف محبة الشراب

٤٥ ما قيل في الدنان والزقاق وفيه أخبار رقيقة عن بعض الشعراء

صفحة

٤٨ ما قيل فى أسماء الشراب ومعانى الخمر والشمول والقرقف والعقار والقهوة والرحيق

٤٩ ما جاء في فصول التماثيل في الاباريق ووصفها بنوعين الخ

٥٢ ما قيل في التماثيل فى الكاسات والجامات

٥٣ ما قيل فى الكيزان والصوانى

٥٣ ما قيل فى الاقداح والقنانى

٥٥ صفات السقاة وما جاء فيها من الشعر

٥٧ ما قيل في تحريم الشراب

٥٨ ما قيل فى تحليل الشراب

٦٢ التعويض من شرب ما أسكر وفيه صفة أشربة متعددة وطريقة عملها .

٦٥ قسمة الامزجة والاشربة المختلفة الانواع . وكم يحد لكل مزاج من الشراب

٦٦ تقدير الشراب مع الطعام وبعده

٦٧ ماقيل في الصرف والممزوج

٧١ حقوق المنادمة وأحوالها وأخبار بعض الندماء .

صفحة

٧٣ أدب الشرب وماقيل فيه .

٧٥ الدعوات ونماذج منها نثراً ونظما :

٧٩ استهداء الشراب وفيه كلمة من كتاب للجاحظ في طلب الشراب .

٨٠ الصبوح والغبوق وماقيل فيهما

٨٤ ماقيل في النقل وأنواعه ووصف الجيد منه وغيره

٨٦ الأنقال الرطبة وأقوال الاطباء في أنواع من الفاكهة كالتفاح والسفرجل

٨٨ الانقال اليابسة كالجوز واللوز وسواهما

٩٠ المشام . وفيه بحث مايستعمل من المسك والعنبر

٩١ سبب وجود السكر

٩٢ اختلاف أفعال الاقداح في السكر

٩٢ تباين حركات الابدان في السكر

٩٣ ارتعاش السكران وسببه

٩٤ اختلاف الطعوم في فم السكران

٩٥ نظر السكران واضطرابه

صفحة

٩٦ أوصاف فضائل السكر وأنها لاتفي بفقدان العقل .
٩٧ الارشاد الى استدعاء السكر ، وأدوية يسكر منها
٩٨ ذم السكر وماقيل فيه من الشعر
١٠٠ دفع السكر عن جوهر العقل وأدوية تبطىء بتأثيره
١٠١ ماقيل في العربدة وتعريفها وأسبابها
١٠٣ الاعتذار من السكر وأقوال بعض الشعراء فيه
١٠٤ الخمار وعلاجه . وهو آخر فصول الكتاب .

THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU63333031
PN6237 .I2 1925 Fusul al-tamathil fi

PN-6237-I2-1925